قطار منتصف الليل

محمود سالم

قطار منتصف الليل

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

قطار منتصف الليل

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٥ ٢٤٣٠ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب في تاريخ غير معروف.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
اللغز!	١١
إن فردة حذاء لا تساوي شيئًا!	١٧
حديث بالأرقام	٢٣
روميو وجولييت	٢٩
مخزن التاريخ	٣٥
رأس الثعبان	٣٩
ماذا تحت الأرض؟	٤٥
أبرياء ومتهمون!	٥١
رصاص في المعبد!	٥٧
فكرة الشيطان	٦٣

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاة في مثل عمرك، كل منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرة يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد ... ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

اللغز!

كانت الساعة التاسعة من صباح أحد أيام شهر أغسطس الحارة ... والشياطين الـ «١٣» قد قسَّموا العمل بينهم في مقرهم ببيروت ... ثلاثة منهم في قسم بيع السيارات والدرَّاجات ... وثلاثة في قسم الإلكترونيات والأجهزة الكهربائية ... بينما استعد الباقون للخروج إلى الجبل ... هربًا من جوٍّ بيروت الرطب الحار إلَّا «إلهام» التي تقرر أن تبقى في الدور الثاني من المقر ... قريبًا من جهاز اللاسلكي.

وكان الشياطين يستبعدون أن يتصل بهم رقم «صفر» في هذا اليوم ... فليست هناك أخبار من فترة طويلة ... حتى إن «باسم» قال: لو استمر الحال هكذا فسوف نصبح أكسل شياطين في العالم ... إذا كان هناك فيه شياطين غيرنا!

ورغم أن الشياطين كانوا يقومون بتدريباتهم اليومية ... بين البحر ... وقاعة الرياضة في المقر ... واستخدام الخناجر والمسدسات على اللوحات الثابتة والمتحركة، إلا أنهم كانوا في أعماقهم يدركون أن لا شيء يشحذ قواهم مثل مغامرة ... ولكن الشهور مضت دون أخبار ...

وركب «خالد» و«فهد» و«زبيدة» سيارة ... و«عثمان» و«بو عمير» و«ريما» سيارة ثانية من الجاراج الذي يقع أسفل المقر ... عندما لاحظ «خالد» أن الضوء الأصفر في صدر الجاراج يعطي إشارة متقطعة ... وكان «خالد» قد أدار موتور السيارة وكاد ينطلق بها ... ولكنه لم يكد يرى الضوء حتى أوقف الموتور وأخذ يعد الإشارات المتقطعة ... وعرف من عددها أن عليهم أن يتوقفوا ... وكانت عيون الشياطين الستة معلَّقة بالضوء ... وانطفأ الضوء الأصفر ... وحل محله الأحمر ... وكان معناه: اصعدوا فورًا!

فُتِحَتْ أبواب السيارتين ... وقفز الستة من أماكنهم ... وفي نفس الوقت كانت نفس الإشارة قد أُعطيت في قسم بيع السيارات وفي قسم الأجهزة الإلكترونية ... وسرعان ما كان الشياطين الستة الآخرون يغادرون القسمَين مسرعين إلى فوق ... بينما أسرع العملاق الأسمر «سرور» المشرف على المقر إلى قسم السيارات ... وأسرعت «بديعة» المشرفة الأخرى إلى قسم الأجهزة الإلكترونية.

عندما صعد الشياطين إلى فوق ... أسرع «أحمد» إلى غرفة اللاسلكي ... وناولته «إلهام» أول تقرير وصل من رقم «صفر» وكان مكوَّنًا من خمس كلمات فقط:

من رقم «صفر» إلى ش. ك. س.

انتظروا تقريرًا هامًّا بعد لحظات!

وجلس الشياطين في الصالة الواسعة ... بينما ظلت «إلهام» لتتلقى التقرير ... مرَّت الدقائق بطيئة ... ومال «عثمان» على «زبيدة» وهمس: هل تتوقعين شيئًا هامًّا؟

ابتسمت «زبيدة» وقالت: هل تراهن؟

عثمان: زجاجة كوكولا منِّي، مقابل كوب عصير ليمون تصنعينه بيديكِ!

زبيدة: أُوافق!

عثمان: تقرير طلب معلومات عن شخص وصل إلى بيروت.

فكَّرت «زبيدة» قليلًا ثم قالت: تقرير أهم من ذلك!

عثمان: مثل ماذا؟

زبيدة: مثلًا حادث هام وقع.

عثمان: قبلت الرهان.

وعاد الصمت يلفُّ القاعة ... ثم دخل «أحمد» غرفة اللاسلكي، وعاد ممسكًا بورقة أخذ يقرؤها لحظات والعيون ملتفَّة به ... ولاحظ الجميع أن علامات الاهتمام والدهشة واضحة على وجهه وقالت «زبيدة» لـ «عثمان»: أعتقد أنك ستقوم لإحضار زجاجة الكوكا كولا.

لوى «عثمان» فمه ثم قال: أُفضِّل الانتظار.

وخرجت «إلهام» تمسك ورقة أخرى ناولتها لـ «أحمد» الذي جلس إلى مائدة الاجتماعات ... وسرعان ما أحاط بالمائدة المستديرة بقية الشياطين.

هزَّ «أحمد» رأسه ثم همَّ بالكلام ... ولكنه عاد فأغلق فمه، وناول التقرير إلى «إلهام» التي بدأت على الفور تقرأ:

وقع اليوم حادث خطير ... فقد سُرِقَتْ عربة قطار محمَّلة بالذهب في جمهورية مصر العربية ... وكانت ضمن قطار بدأ رحلته من أسوان إلى القاهرة في حراسة مسلحة!

وسكتت «إلهام» لحظات ثم مضت تقرأ:

والذهب نُقل من تنزانيا إلى السودان ثم نُقل من السودان إلى أسوان حيث شُحِنَ في القطار، وسبب نقله بالقطار ما وصل إلى سلطات الأمن أن عصابة قوية تنوي اختطاف الطائرة التي سيُنقَل عليها الذهب، وقد كان القطار مكوَّنًا من سبع عربات، وكانت عربة الذهب هي العربة الرابعة ... قبلها ثلاث عربات وبعدها ثلاث عربات ... وكانت الحراسة في العربة الأولى خلف قطار السحب نفسه ... ثم في العربة الأخيرة ... مكونة من أربعة رجال مسلحين بالمدافع الرشاشة!

ونظرت «إلهام» إلى الشياطين ... ورأت على وجوههم علامات اهتمام طاغية، ومضت تقرأ:

إن المدهش في السرقة ... بل الشيء الذي لا يصدق أن عربة الذهب سُرِقت كلها ... فالعصابة التي قامت بالسرقة لم تقتحم العربة وتسرق الذهب ... بل سرقت العربة نفسها ...

قالت «ريما» بتسرُّع: غير معقول!
وابتسمت «إلهام» فقد كان الجزء الأكثر إثارة لم يأتِ بعد، ومضت تقرأ:

والأغرب من كل هذا أن القطار لم يتوقف مطلقًا منذ خروجه من أسوان حتى وصوله إلى القاهرة، فقد أُخليت الخطوط نظرًا لأهمية الشحنة ... أكثر من هذا أن الحراس لم يشعروا بشيء مطلقًا، ولم يتنبهوا إلى السرقة إلا عندما وصل القطار إلى القاهرة!

وأخذت «إلهام» نَفَسًا عميقًا ثم قرأت السطر الأخير:

سيصلكم مزيد من التفاصيل بعد قليل ... وأرجو أن يستعد ستة منكم للسفر فورًا إلى مصر ... يكون بينهم «أحمد» و«عثمان».

وسكتت «إلهام» وران صمت عميق على القاعة ... فقد كان كل واحد من الشياطين يفكِّر فيما حدث ... وقد كان محور تفكيرهم جميعًا هذا السؤال: كيف يمكن سرقة عربة قطار كاملة من قطار سائر بسرعة كبيرة ... هذه العربة في وسط القطار وليست في نهايته حتى يمكن أن يقال إنها فُكَّت مثلًا!

وكانت الإجابة الوحيدة المعقولة هي وجود تحويلة في الطريق تم تحويل العربة إليها ... ولكن كيف يمكن تحويل عربة واحدة في منتصف القطار دون تحويل بقية العربات؟

الإجابة التي توصَّل إليها الشياطين وكل واحد منهم يملك ذهنًا متَّقدًا بالذكاء بالإضافة إلى التمرينات والتجارب التي مروا بها ... الإجابة كانت: مستحيل ... إلا إذا كان هناك ساحر مثلًا أخفى العربة في الهواء!

قام «أحمد» وتحدَّث مع «سرور» من تليفون داخلي ... ثم ذهب إلى سبورة معلَّقة على حامل في طرف القاعة ... ووقف أمامها ثم رسم قطارًا مكوَّنًا من سبع عربات ووضع علامة «×» على العربة الوسطى ثم وقف أمامها يُفكِّر ... وسرعان ما انضمَّ إليه بقية الشياطين ودار حوار ساخن حول الرسم.

قال «أحمد»: لا بُدَّ من وجود تحويلة في الطريق!

رد «عثمان»: أعتقد أنها نفس الإجابة التي حصل عليها كل واحد من الشياطين ... ولكن يا «أحمد» ... كيف يمكن تحويل عربة واحدة من قطار سائر ... إذا كانت هذه العربة في منتصف القطار؟ إن ذلك هو المستحيل بعينه.

أحمد: معك حق ... ولكن فَسِّر لي كيف تمَّ هذا؟

بو عمير: التفسير الوحيد ... ألَّا تكون العربة قد أُلحِقَت بالقطار على الإطلاق.

أحمد: إن هذا ممكن طبعًا ... ولكن المعلومات التي وصلتنا تؤكِّد أن العربة أُلحقت بالقطار.

قالت «زبيدة»: هناك احتمال آخر ... أن تكون العربة التي بها الذهب قد أُبدِلَتْ قبل قيام القطار ووُضِعَت في نهاية القطار.

أحمد: مرَّة أخرى نعود إلى المعلومات ... إن التقرير يؤكِّد أن العربة الأخيرة كان بها حرَّاس مسلحون ... ولو كانت عربة فارغة لكان هذا أفضل تبرير ممكن لما حدث ... ولكننا نفكِّر في حدود المعلومات التي لدينا.

ضحك «رشيد» وقال: لا شك أنه ساحر من ذلك النوع الذي يضع الفيل في المنديل ... أو يمرر الجمل من ثقب الإبرة!

قال «قيس»: إننا لم نتمرن على محاربة السحرة.

هدى: ما رأيكم في طائرة هليكوبتر تحمل العربة؟

أحمد: أولًا لا أظن أن هناك طائرة هليكوبتر بهذه القوة ... ثانيًا، كيف يمكن فصل العربة من العربة السابقة لها ... ثم اللاحقة لها ... في هذه الحالة لا بد أن تتخلف العربات الثلاث الأخيرة عن اللحاق بالقطار ... والمعلومات التي لدينا تؤكد أن العربات الست وصلت إلى محطة القاهرة وهي موصولة ببعضها.

صمت الجميع ... واستغرقوا في تفكيرٍ عميق ... بينما دق جهاز اللاسلكي مرةً أخرى وأسرعت «إلهام» إليه وقال «قيس»: إنه لغز!

أحمد: فعلًا ... إنه لغز لم يسبق له مثيل ... وإن حل اللغز سيكون شيئًا مثيرًا لم يسبق له مثيل أيضًا!

وعادت «إلهام» تحمل إليهم تقريرًا جديدًا.

إن فردة حذاء لا تساوي شيئًا!

كانت المعلومات التي أحضرتها «إلهام» قليلة ... ولا تلقي ضوءًا ولو ضئيلًا على اللغز العجيب ... وقرأت «إلهام»:

معلومات إضافية ... أولًا: إن شحنة الذهب كانت في طريقها إلى سويسرا ... ثانيًا: كان القطار يسير بسرعة نحو ٩٠ كيلومترًا في الساعة ... وقد خرج من أسوان في السادسة مساءً ليصل إلى القاهرة في السادسة صباحًا. يقوم رجال على أكبر درجة من الخبرة بمسح الطريق من أسوان إلى القاهرة على امتداد طول شريط السكة الحديد للبحث عن أي آثار لما حدث ... أرجو أن يطير ستة من الشياطين فورًا إلى القاهرة ... هناك فيلا في شارع الهرم رقم ٤١٢ محجوزة لهم وبها كل ما يطلبون من أسلحة وأجهزة اتصال وغيرها ... سأنتقل إلى الكهف السري لأتابع نشاطكم. قف.

انتهى التقرير ... ودخل «سرور» يحمل صندوقًا متوسط الحجم وضعه على مائدة الاجتماعات ثم خرج ... وأسرع «أحمد» يفتح الصندوق ... وأخرج منه قطارًا صغيرًا يدور بالبطاريات، وسرعان ما كان الشياطين الـ «١٣» يحيطون بالقطار الصغير واشتركوا جميعًا في تجهيزه للسير، وقد وضعوا سبع عربات خلف القاطرة ... ووضعوا علامة على العربة الوسطى ثم انطلق القطار يسير في دائرة ووقفوا جميعًا يتأملونه ...

أخذ القطار يدور ويدور ... والأنظار كلها معلقة به ... وطلب «أحمد» قطعة من الخيط الرفيع ثم أوقف القطار وفك الشنكل الذي يربط العربة الثالثة بالعربة الرابعة وبدله بالخيط الرفيع أي ربط به العربة الرابعة (عربة الذهب) بالعربة الثالثة ... ثم أطلق القطار يجري ... وبعد لحظات وضع أُصبعه على عربة الذهب ... وانقطع الخيط ... ومضت

القاطرة تشد ثلاث عربات ... بينما اندفعت العربات الأربع الباقية تسير فترة قصيرة، ثم تباطأ سيرها حتى توقفت، ودارت القاطرة وخلفها العربات الثلاث حتى وصلت إلى العربات الأربع الواقفة فخبطتها من الخلف، ثم مضت بها تدور.

وقال «أحمد» وهو يعتدل في وقفته: شيء غير معقول! غير معقول!

واجتمع الشياطين مرة أخرى حول المائدة لتقرير أسماء المسافرين إلى القاهرة ... وساد الصمت الغرفة ... ولم يكن يقطعه سوى صوت القطار الصغير وهو يجري ويجري ويدور ويدور.

قال «أحمد»: نريد أربعة آخرين غيري أنا و«عثمان».

بو عمير: إنني أرحب بالاشتراك في هذه المهمة.

وارتفعت بقية الأصوات تطلب الاشتراك أيضًا ... وقالت «زبيدة»: هل نجعلها بالاقتراع؟

قيس: أقترح أن نترك لـ «أحمد» حرية اختيار المسافرين.

قال «أحمد»: أشكرك يا «قيس» ... والحقيقة أننا أمام جريمة دُبِّرَتْ بأكبر درجة ممكنة من الذكاء العلمي ... فقد تم سرقة عربة قطار كاملة بحراسها دون أن تُطلَق رصاصة واحدة. أو يتم أي عمل من أعمال العنف، ولهذا فإني أقترح أن تنضم لنا «زبيدة» باعتبارها تخصصت في الأعمال الهندسية ... و«بو عمير» لأننا قد نتقاتل في جبال الصعيد، وهو متمرن على هذه المناطق ... و«خالد» ...

قالت «إلهام» مسرعة: أرجو أن تسمحوا لي بالانضمام أيضًا، فإنني لم أزر مصر من قبل.

ووافق الجميع ... وبدأ استعداد الستة ... «أحمد» و«عثمان» و«بو عمير» و«خالد» و«إلهام» و«زبيدة» ... وقام «سرور» بالاتصال بشركات الطيران، وتحددت الساعة السادسة مساءً لسفرهم على طائرة شركة طيران الشرق الأوسط.

وعقد الستة اجتماعًا، وبدأ «أحمد» الحديث قائلًا: إنني أعتقد أنها مهمة من أصعب المهام التي أوكلت إلينا ... إننا نبحث عن إبرة في كومة من القش كما يقولون ... صحيح أننا نبحث عن عربة قطار بضاعة، ولكن يجب ألَّا ننسى أن المنطقة التي نعمل فيها يبلغ طولها ١٠٠٠ كيلومتر، هي المسافة بين القاهرة وأسوان ... ومعنى هذا أن البحث عن عربة قطار في هذه المسافة الهائلة أصعب من البحث عن إبرة في كوم من القش ... هذا من ناحية الطول ... أمَّا على الجانبين ... فهناك نهر النيل ... وزراعات القصب والقطن الواسعة ... وهناك الجبال والصحارى وعشرات من مشاهد الطبيعة المتنوعة ...

وسكت «أحمد» لحظات ثم مضى يقول: إن العصابة التي قامت بهذه الخطة المذهلة عصابة أجنبية متخصصة ... فسرقة عربة من قطار يسير بسرعة ٩٠ كيلومترًا في الساعة تحتاج إلى قدر كبير من العلم والمعرفة والتخطيط الدقيق ... ولكن هناك شيئًا في جانبنا ...

قالت «زبيدة»: كيف؟!

أحمد: إن شهر أغسطس في مصر من أشد الشهور حرارة ... حيث يقل عدد السواح الذين يترددون على مدن الصعيد المختلفة لمشاهدة آثار الفراعنة العظيمة ... ولست أشك لحظة أن أفراد العصابة قد وصلوا مصر في شكل سواح، فهذا هو التبرير الوحيد لذهابهم إلى الصعيد ... وقلة عدد السواح في الصيف سيضيق نطاق بحثنا.

بو عمير: هل تنوي البدء في البحث عن أشخاص معينين نزلوا في مدن الصعيد في تلك الفترة؟

أحمد: ليست في ذهني خطة معيَّنة حتى الآن ... ولكن البحث عن هؤلاء السواح جزء من تفكيري ... وعندما نصل إلى مصر سنجد أن قوات الشرطة والجهات المسئولة عن الأمن قد قامت بجهد كبير للحصول على أكبر قدر من المعلومات ... ورجال الشرطة في مصر من أمهر الرجال ... وأعتقد أن فكرة البحث عن السواح ستكون ضمن تفكيرهم، لهذا فإنني أرجو من «إلهام» أن تطلب من رقم «صفر» أن يوافينا في القاهرة بتقرير عمَّا وصل إليه رجال الشرطة من بحثهم ... سنستعد الآن ... وليفكِّر كل منكم لو كان مكان العصابة فما هي الخطة المثلى التي يضعها لسرقة عربة قطار يسير بسرعة ٩٠ كيلومترًا ...

ابتسمت «إلهام» لـ «أحمد» قائلة: إنها طريقة تفكيرك الدائمة ... كيف يفكر الطرف الآخر؟

ردَّ «أحمد» على ابتسامتها بضحكة وقال: على كل حال ... إنها طريقة أثبتت جدواها حتى الآن ... فهل عندكِ طريقة أخرى؟!

قالت «إلهام»: على العكس ... إنني أتفق معك تمامًا ...

وانفض اجتماع الشياطين الستة ... وأخذ كل منهم يجهز معداته للسفر ... كان «أحمد» يشعر بحنين قوي سيطر عليه تمامًا ... إنه سيعود إلى مصر التي أوحشته كثيرًا ... وكان سعيدًا لأن «إلهام» سوف تسافر معه ... ستشاهد عظمة مصر، وآثارها، وناسها الظرفاء الكرماء.

وكانت «إلهام» سعيدة لأنها ستسافر مع «أحمد» ... وترى مصر التي لم تزُرْها من قبل، وهو شيء كان يضايقها ... وعندما أرسلت باللاسلكي تطلب المعلومات التي سألها

«أحمد» أن ترسلها ... لم تنسَ أن تخبر رقم «صفر» بالتشكيل المسافر. وانتهى «عثمان» من حزم حقيبته الصغيرة، ولم ينسَ أن يضع فيها كرته الجهنمية التي كان يفكر في أن يطلق عليها اسمًا يتساوى مع الدَّور الكبير الذي تقوم به في مغامراتهم العنيفة.

ووقف «أحمد» يتحدث مع «زبيدة»، بينما كان «بو عمير» و«خالد» يقفان في النافذة يشاهدان بيروت في ذروة نشاطها، والسيارات تقطع الكورنيش بسرعتها الكبيرة ... وقال «بو عمير»: ستوحشنا بيروت.

قال «خالد»: هل تتوقع أن تطول إقامتنا في مصر؟

بو عمير: من يدري ... إن المغامرة تبدو غامضة للغاية ... وقد فكرت كما طلب «أحمد» ... وأصدقك القول إنني لا أتصور كيف استطاعت العصابة أن تنفذ هذه الخطة الجهنمية ...

خالد: أؤكد لك يا «بو عمير» أنها تحويلة ... تحويلة في مكان ما من الطريق تحولت إليها العربة ... وليس هناك حل آخر ...

بو عمير: إنني مقتنع تمامًا بما تقول ... بل ليس هناك حل آخر ... ولكن كيف تُحَوَّل عربة واحدة من قطار يسير بسرعة ٩٠ كيلومترًا دون أن تنفصل العربات الثلاث التالية؟!

خالد: هذه هي النقطة التي أعياني التفكير فيها ...

ظهرت «إلهام» في الصالة الواسعة ... ولحق بها «أحمد» ... ثم بقية الشياطين المسافرين، وقالت «إلهام»: لقد تلقيت من رقم «صفر» ما يفيد أن أحد رجال الأمن في القاهرة يدعى «أكرم» سوف يتعاون معنا ... وسيضع تحت أيدينا كل المعلومات المطلوبة، وقد أعطاني رقم تليفونه الخاص وكلمة السر التي نتحدث بها إليه حتى يعرفنا.

والتفَّ حولها الشياطين الخمسة ... فقالت: كلمة السر هي: «فردة حذاء واحدة لا تساوي شيئًا».

وضحك الشياطين وقال «عثمان»: إلا إذا كانت لرجل أعرج!

قال «أحمد»: الساعة الآن الثانية عشرة ... ما زال أمامنا وقت طويل ... وسنتناول الغداء مبكرين قليلًا ... ثم نرتاح حتى الواحدة لنكون في المطار قبل الإقلاع بساعة على الأقل.

وتفرق الأصدقاء ... ومضت الساعات ... وعندما استعد الجميع لمغادرة المقر ... دق جهاز اللاسلكي ... وأسرع «أحمد» فقد كان أقرب الموجودين إليه ... كانت رسالة من رقم «صفر» يخطرهم أنه وصل إلى المقر السري الرئيسي في المنطقة «س×ص»، وأنه سيتلقَّى

رسائلهم هناك، وخطرت لـ «أحمد» فكرة، فأرسل سؤالًا إلى رقم «صفر» طلب الإجابة عنه: متى فكر البنك السويسري الذي سيُشحَن إليه الذهب، أن ينقل الشحنة عن طريق البر والبحر وليس عن طريق الطائرات؟

وردَّ رقم «صفر»: منذ أربعة أشهر بالضبط.

وتبادل الشياطين الـ «١٣» التحيات ... وبدأ الستة يغادرون المقر عندما صاح «أحمد»: أريد القطار الصغير معي ...

وأسرع «سرور» يضعه في صندوقه ثم ناوله لـ «أحمد».

حديث بالأرقام

عندما حومت الطائرة التي تقل الشياطين الستة فوق مطار القاهرة، كانت الشمس قد غربت منذ قليل، ولمعت ملايين الأضواء في الظلام الخفيف ... وبدت المدينة العريقة كأنها لا نهاية لها.

كانت «إلهام» تجلس بجوار النافذة، فمدت عنقها الجميل لتلقي نظرة على المدينة ... ومال «أحمد» معها، واجتمع الوجهان بجوار الزجاج السميك ... وتلامس الخدان ... وهمس «أحمد» في أُذن «إلهام»: إن القاهرة مدينة جميلة ... وستكون أجمل وأنت بها.

لم ترد «إلهام» وتلاعبت على شفتَيها ابتسامة رقيقة، وضغطت بخدها على خد «أحمد» فمضى يقول: إنني أفكر أن تكون هذه المغامرة هي نهاية المطاف بالنسبة لنا ... ونستقر في القاهرة.

مرة أخرى لم ترد «إلهام» ... فقد كانت تعرف أن دماء المغامرة التي تجري في عروق فتاها القوي ... لن تبقيه لحظة واحدة ساكنًا في مكانه ... لقد أصبحت المغامرات قدره الذي لا فرار منه ... خاصةً وأنها ليست مغامرات في سبيل الماديات، ولكن في سبيل المثل العليا والوطن العربي الكبير.

كانت المضيفة قد أعلنت أن الطائرة ستهبط بعد قليل ... فتراجع الوجهان الملتصقان ... وثبت كل منهما في مقعده بعد أن ربط حزام الأمان تنفيذًا للتعليمات، وبدأت الطائرة تخفض من سرعتها وتحوم فوق المطار ... ثم أخذت تهبط تدريجيًّا، وجاءت اللحظة الهامة ... عندما تلامس عجلاتها ممر الطيران الناعم ... إنها اللحظة التي يعرف ركاب الطائرات جميعًا أنها أخطر لحظات الطيران ... تمامًا كلحظة الإقلاع، والطيار المدرَّب يستطيع أن يهبط بلمسة واحدة على الأرض بخفة، وهو ما يسمونه الهبوط الناعم ... وهذا ما حققه

قائد الطائرة البوينج ٧٠٧ فقد لمست الطائرة الأرض لمسة واحدة ... ثم مضت تجري فوق مدرج المطار وهي تلهث.

كان ضمن تعليمات رقم «صفر» أنهم سيجدون سيارة كبيرة من طراز مرسيدس ٣٠٠ لونها أخضر غامق وبأرقام ٤٠٦١١ القاهرة. وفعلًا كعادة رقم «صفر» في تنفيذ كل شيء بدقة بالغة ... وجدوا السيارة خارج المطار ... وسرعان ما كان «أحمد» يجلس إلى عجلة القيادة قائلًا: مرحبًا بكم في القاهرة.

وشقت السيارة الضخمة طريقها في شوارع مصر الجديدة الهادئة نسبيًّا، ثم دخلت في زحام المدينة الكبيرة إلى ميدان رمسيس ... ثم شارع رمسيس حتى ميدان التحرير، ثم عبرت كوبري التحرير ... وكوبري الجلاء ... ووصلت إلى ميدان الجلاء، وأطلق «أحمد» لها العِنان فقد أصبحوا في محافظة الجيزة، حيث يمتد شارع الهرم من بداية نفق الجيزة حتى الأهرام.

كان «أحمد» سعيدًا برغم حرارة الجو الخانقة ... وكان يصف لزملائه كل ما يمرون به ... وبعد «أوبرج الأهرام» وقف «أحمد» عند جندي المرور وسأله عن رقم ٤١٢، ثم مضى مسرعًا مرة أخرى، وبعد سؤال آخر وصلوا إلى فيلا صغيرة ودخلت السيارة من باب الحديقة، ثم توقفت وقال «أحمد»: بعد ساعة من الآن سنجتمع لتقرير خطة العمل.

اغتسل الأصدقاء. وبعد ساعة كانوا يعقدون أول اجتماع عمل في مصر ... وكانت الفيلا مجهزة كمقر للشياطين بالخرائط وغيرها من الأدوات التي يحتاج إليها الشياطين في مغامراتهم.

وأمام خريطة لمصر وقف «أحمد» وحوله الأصدقاء ... وقال «أحمد»: في ذهني خطة بسيطة ولكنها ضرورية ... وهي القيام بالرحلة التي قام بها قطار الذهب من أسوان إلى القاهرة. مع فارق بسيط ... أننا سنذهب بسيارة جيب.

قالت «زبيدة»: أعتقد أن رجال الشرطة في مصر قد قاموا بنفس الرحلة ... ولا بد أن كل المعلومات التي نريد الحصول عليها قد حصلوا هم عليها ... ورقم «صفر» سيرسل لنا هذه المعلومات.

رد «أحمد»: سيزودنا رقم «صفر» بكل المعلومات التي تصله من رجال الشرطة ولكننا نحن سنقوم برحلتنا بعد عدة حسابات بسيطة ... وسنركز جهودنا في منطقة لا يزيد طولها على ٤٠٠ كيلومتر فقط!

خالد: كيف؟ إن المسافة التي قطعها القطار ١٠٠٠ كيلومتر!

أحمد: سأوضح لكم فكرتي ... تصوروا أن القطار قد غادر أسوان في السادسة مساءً ... هل تبدأ العصابة عملها في السادسة ... وما زال ضوء النهار يغمر الكون ... إن الغروب كما تعرفون في الساعة الثامنة تقريبًا ...

بو عمير: طبعًا ليس قبل الغروب!

أحمد: ثم إن الوقت من الثامنة حتى العاشرة تقريبًا يكون الناس ما زالوا ساهرين خاصة في الصيف.

إلهام: معقول.

أحمد: إذن فإن العصابة ستبدأ عملها بعد ذلك ... ولو كنت مكانهم لانتظرت على الأقل ساعة أخرى ... أي الحادية عشرة.

بو عمير: معقول!

أحمد: إذن يكون القطار قد سار خمس ساعات أي ٤٥٠ كيلومترًا تقريبًا ... ثم تعالوا نتصور ... هل تقوم العصابة بضربتها بعد شروق الشمس؟

بو عمير: لا، طبعًا ...

أحمد: إن الفجر في مصر يطلع الساعة الرابعة تقريبًا ... والفلاحون يخرجون لصلاة الفجر في ذلك الوقت ثم يذهبون إلى الحقول ... ولا يمكن أن تعرِّض العصابة نفسها للافتضاح في ذلك الوقت.

إلهام: عظيم ...

أحمد: إذن فإن العصابة قد ضربت ضربتها بين الساعة الحادية عشرة ليلًا والساعة الرابعة صباحًا ... أي في مسافة قدرها ٤٥٠ كيلومترًا. وهي المسافة التي سنركز بحثنا فيها.

قال «خالد»: إنها حسبة دقيقة وذكية للغاية يا «أحمد».

قال «أحمد»: فإذا نظرنا إلى الخريطة لوجدنا أن هذه المسافة تقع تقريبًا بين محافظة قنا ومحافظة المنيا ... وهي منطقة مناسبة، حيث تقل كثافة السكان من ناحية وتتزايد المناطق الجبلية حيث يسهل الاختباء.

خالد: متى فكرت في كل هذا أيها الشيطان؟

أحمد: منذ اللحظة الأولى التي أبلغنا فيها رقم «صفر» بالتقرير الأول ... فقد علقت خريطة مصر في رأسي منذ ذلك الوقت وظللت أفكر حتى الآن ... ولكن هناك ملحوظة هامة قد تغيب عنكم لأنكم لستم من مصر ... إن هذه المنطقة التي حددناها فيها كثير من

المنحنيات فالقطار لا يسير بسرعة موحدة طول الوقت ... وأعتقد أن سرعته قد تنخفض أحيانًا حتى أربعين ... وربما عشرين كيلومترًا في الساعة ...

بو عمير: على كل حال البحث في ٤٥٠ كيلومترًا أو ٥٠٠ أفضل من البحث في ١٠٠٠ كيلومتر ... ولكن المهم عن أي شيء نبحث؟

أحمد: كما اتفقت أفكارنا جميعًا تقريبًا ... فإن سرقة عربة الذهب تمت بواسطة تحويلة ... ولا يمكن أن تكون قد تمت بأي شكل آخر، وسنبحث إذن عن وجود تحويلة في المنطقة التي حددناها.

إلهام: من المؤكد أن رجال الشرطة المصريين قد فكروا بنفس الأسلوب، وأنهم سيبحثون عن الآثار!

أحمد: لقد اتفقنا على ذلك فعلًا ... ولكن لعل بحثنا في مساحة أقل يعطينا فرصة أكبر ... وعلى كل حال ... نحن في انتظار تقرير رقم «صفر» عن جهود جهات الأمن المصرية ... وعندما يصلنا سنبدأ العمل فورًا.

إلهام: سأقوم لاختبار جهاز اللاسلكي الذي وجدته هنا.

أحمد: وسأقوم بتدبير سيارة جيب تستطيع أن تحملنا جميعًا بما في ذلك المياه والمؤن وغيرها من أدوات الرحلة.

خالد: ابحث عن سيارة لاندروفر فهي أكبر وأوسع.

أحمد: سأترككم الآن، وأرجو عندما أعود أن يكون رقم «صفر» قد أرسل تقريره، حتى نستطيع السفر في الفجر.

وغادر «أحمد» الفيلا، وانصرف مسرعًا إلى جهة معيَّنة يعرف أن رقم «صفر» يتعاون معها ... بينما دخلت «إلهام» إلى غرفة اللاسلكي حيث الجهاز، ثم أرسلت إلى رقم «صفر» أول تقرير عن اجتماعهم، وعن الخطة التي وضعت للتنفيذ ... ووقف بقية الشياطين في شرفة الفيلا ... ثم نزلوا إلى الحديقة يستمتعون بنسمة باردة هبت عليهم بعد اليوم الحار ... حملت إليهم رائحة الفل والياسمين المزروع في قصور وفيلات شارع الهرم ... ومن بعيد كانت موسيقى الكازينوهات تصدح ... وقالت «زبيدة»: كم أتمنى قضاء سهرة تحت سفح الهرم!

ردَّ «عثمان» الذي كان صامتًا أغلب الوقت: إذا لم يصل تقرير رقم «صفر» الآن ففي إمكاننا الانطلاق بالسيارة حتى الهرم.

وخرجت «إلهام» إلى الشرفة، وعندما شاهدوها اتجهوا ناحيتها فقالت: لن يتم إعداد تقرير رجال الشرطة المصريين قبل منتصف الليلة.

عثمان: سأذهب أنا و«خالد» و«زبيدة» و«بو عمير» في رحلة سريعة إلى الهرم لنشرب زجاجة كوكا كولا مثلجة.

إلهام: ليس هناك ما يمنع، وسأخبر «أحمد» حين عودته.

ركب الشياطين الأربعة السيارة المرسيدس، وانطلقوا إلى الهرم ... ووقفت «إلهام» وحدها في الشرفة تنتظر عودة «أحمد» ... ومضت ساعة ... ثم رأت سيارة تقف على الجانب الآخر للطريق ... وينزل منها «أحمد» ... ثم ينتظر حتى تغادر السيارة مكانها وتعود ... ثم يتحرك ناحية الفيلا ... وعرفت أنه يقوم بإجراء أمن بسيط حتى لا يعرف سائق التاكسي وجهته ... وأحست بمزيد من الإعجاب بهذا الشيطان الذكي الحذر.

دخل «أحمد» من باب الحديقة ... وشاهد «إلهام» تقف وحدها في الشرفة ... فاتجه إليها ووقف تحت الشرفة قائلًا: إن روميو يرسل لجولييت قبلة أرق من نسمة الربيع وأجمل من زهرة الياسمين ... و...

وقاطعته «إلهام» ضاحكة: إن جولييت تشكر روميو ... ولكن ...

وقبل أن تتم جملتها كان «أحمد» يتسلق شجرة اللبلاب التي تحيط بالفيلا ... تمامًا مثلما فعل روميو في مسرحية شكسبير الخالدة ... «روميو وجولييت» ... ولم يكد يصل إلى الشرفة ويقفز بجوار «إلهام» ... حتى دق جرس التليفون.

روميو وجولييت

أحس «أحمد» بضيق شديد ... فقد كانت عواطفه في هذه الأمسية الحارة ... ومع المشهد الطبيعي ... قد اتقدت ... وكان يتمنى أن يقضي ولو بضع دقائق مع «إلهام» وحدهما ... ولكن ... هذا التليفون اللعين ...

أسرعت «إلهام» ترد على التليفون ... وجلس «أحمد» في الشرفة في انتظار نتيجة المكالمة ... وخرجت «إلهام» ... ونظر إلى وجهها يحاول أن يستكشف ما حدث ... ولكن وجه «إلهام» ظل جامدًا وأحس «أحمد» بالخوف ... خاصةً وهو لم يرَ بقية الشياطين في الفيلا ... وقال بقلب واجف وقد نسي عواطفه: ماذا حدث؟

وتقدَّمت «إلهام» حتى أصبحت أمامه تمامًا وقالت: النمرة غلط!

وضحكت «إلهام» وقفز «أحمد» محاولًا الإمساك بها وعقابها على ما فعلت ... ولكنها جرت منه ... وجرى خلفها ... كانت شرفة الفيلا تدور حولها ... فدارت «إلهام» مع الشرفة و«أحمد» خلفها ... وعندما لحق بها وكاد يمسك بها قفزت إلى الحديقة ... ولم يتردد «أحمد» فقفز خلفها ... ولكنه عندما وصل إلى الأرض لم يجدها ... لقد اختفت ووقف مكانه ساكنًا تمامًا ... كان كمغامر يعرف أنها سوف تتحرك من مكمنها وسوف تُحدِث صوتًا ... وحدث ما توقعه ... بعد لحظات سمع صوتًا عند طرف الحديقة وأسرع إلى هناك ... ولكنه لم يجد إلا أشجار الفُل وهي تتمايل مع النسيم ... ودار «أحمد» دورة سريعة حول الفيلا دون أن يجد «إلهام» ... وأدرك أن الشيطانة الذكية قد صعدت مرة أخرى إلى الشرفة ... وقفز هو الآخر ... ووجدها جالسة تبتسم ... واقترب منها فلم تتحرك ... وارتكز على ركبته أمامها ومدَّ يده ... فمدَّت يدها، وأمسك باليد الرقيقة القوية واحتواها بين يديه وأحست «إلهام» كأن أصابعه تلهب يدها، واستسلمت إلى مشاعر متضاربة من الحب ... والأمل ... والإحساس بالواجب ...

وقالت: «أحمد».

قال: «إلهام».

كان صوته يحمل شُحْنَة متدفِّقَة من عواطفه العميقة نحوها ... ونسيت كل شيء في هذه اللحظة إلا أنها موجودة بجوار الشاب الذي تحبه ... فجذبته نحوها، وترك يديها، وأحاط كتفيها بذراعيه ...

وفي هذه اللحظة دق جرس التليفون مرة أخرى، وهمَّت «إلهام» بالنهوض، ولكن «أحمد» قال في صوت هامس: نمرة غلط.

قالت «إلهام»: ربما كان الضابط المصري «أكرم» ... إنه الوحيد الذي يعرف رقم التليفون!

ونظر «أحمد» إلى ساعة يده ذات الميناء المضيء ... وقفز بسرعة ... كان رنين التليفون مستمرًّا ... وفي ثلاث قفزات كان يرفع سماعة التليفون واستمع قليلًا ثم وضع السماعة وكانت «إلهام» قد لحقت به فقال: ستكون العربة اللاندروفر جاهزة بعد ساعة ...

ووقعت عيناه على القطار الصغير الذي أحضره معه من بيروت فأضاء بقية أنوار الصالة ... ثم أخرج القطار من علبته وأعده للسير وأطلقه، ووقف بجوار «إلهام» وهو ينظر إلى القطار يفكر بعمق ... وقالت «إلهام»: مسألة صعبة!

أحمد: يطوف بذهني خاطر معيَّن ... إننا نبحث عن طريقة لتحويل عربة تسير بسرعة ٨٠ أو ١٠٠ كيلومتر في الساعة ... ولكن لماذا لا تكون العربة قد حولت وهي تسير بسرعة ٢٠ كيلومترًا مثلًا ... لقد قلنا إن هناك منحنيات في الطريق ... ولو كنت مكان العصابة لاخترت وقتًا يُهدِّئ فيه القطار من سرعته عند أحد المنحنيات ثم أقوم بتحويل العربة.

إلهام: إنني متفقة معك تمامًا ... ولكن المشكلة ليست في التوقيت ... المشكلة كيف تم تحويل العربة دون أن تتبعها بقية العربات الثلاث التالية لها ... إن هذا مستحيل ... مستحيل!

أحمد: إنه يبدو مستحيلًا فعلًا ... ولكنه حدث ... ومهمتنا أن نعرف كيف حدث ...

ثم انحنى «أحمد» على القطار الصغير ... ومد أصابعه وأخذ يفك العربة الرابعة (عربة الذهب) من القطار ثم تركه ينطلق وبالطبع سار القطار وخلفه ثلاث عربات ... بينما بقية العربات الأربع الأخيرة سارت فترة بقوة الاندفاع ... ثم توقفت!

كانت نفس التجربة التي أجراها في بيروت وحصل على نفس النتيجة.

قالت «إلهام»: نسيت أن أقول لك إن الشياطين الأربعة ذهبوا لزيارة الأهرام.

ردَّ «أحمد» وهو مشغول البال: لقد استنتجت أنهم خرجوا.

وأخذ يتمشى في الصالة الواسعة و«إلهام» تتابع القطار وهو يسير ويسير ... وقد استغرقت هي الأخرى في أفكارها.

لقد شغلها الواجب عن عواطفها المشبوبة ... وأصبحت مشكلة الذهب أهم من أي شيء آخر في حياتهما ... وأعاد «أحمد» النظر إلى ساعته ثم قال: سأخرج الآن لإحضار السيارة.

وأسرع «أحمد» خارجًا ... وبقيت «إلهام» وحدها مع القطار ... وجلست وقد وضعت رأسها بين يديها تفكر وتمعن في التفكير ... كيف حلَّت العصابة مشكلة العربة الرابعة ... كيف استطاعت تحويلها ومع ذلك ظل القطار يسير وخلفه بقية العربات ... وهزَّت رأسها ... كانت مشكلة بلا حل ...

دقَّ جرس التليفون وسمعت «إلهام» صوتًا هادئًا يقول: «إن فردة حذاء واحدة لا تساوي شيئًا».

ردَّت «إلهام»: إلا إذا كنت تملك الفردة الأخرى.

قال صاحب الصوت: الضابط «أكرم» يتحدث.

ردت «إلهام»: إنني أستمع.

أكرم: تقرير الشرطة سلبي ... لا شيء من الآثار على الإطلاق ... تمَّ القيام برحلة من أسوان إلى القاهرة وبالعكس ... ولكن لا شيء هناك ... تتم الآن مراجعة جميع جوازات سفر السياح الذين في المنطقة ... ستصلكم معلومات عن هذه الجوازات غدًا مساءً.

وحيَّاها الضابط «أكرم» ثم وضع السماعة.

زمَّت «إلهام» شفتيها ... لا معلومات مطلقًا ... يا لها من عصابة لا مثيل لها ... تحقق معجزة سرقة القطار ... وتحقق معجزة أخرى ألا تترك خلفها دليلًا واحدًا ... ونظرت إلى ساعتها ... كانت قد أشرفت على الحادية عشرة ... وسمعت صوت المرسيدس وهي تدخل من باب الحديقة ... ثم صوت الأبواب وهي تغلق، وقامت ففتحت الباب وظهر الشياطين الأربعة وقد بدت عليهم مظاهر السعادة والمرح.

قال «عثمان» وهو يقذف كرته الجهنمية إلى فوق: أخبار؟

ردت «إلهام»: لا أخبار!

عثمان: و«أحمد»؟

إلهام: سيعود بالسيارة اللاندروفر بعد نصف ساعة تقريبًا.

عثمان: نحن جوعى.

إلهام: عشاء الليلة من المعلبات فقط ... وأظن أننا سنعيش الأيام التالية بنفس الطريقة.

ودخلت «إلهام» و«زبيدة» إلى المطبخ، وعادتا بعلب من السردين والتونة والمخللات والجبن. ووضعتا كل ذلك على المائدة، ثم سمعوا جميعًا صوتًا ناعمًا لسيارة ضخمة تدخل من باب الحديقة ... فقفزت «إلهام» قائلة: إنه «أحمد».

وبعد لحظات دخل «أحمد» يحمل ربطة كبيرة. وقال «عثمان»: أشم رائحة لحم.

ردَّ «أحمد» وهو يضع الربطة: كباب وكفتة.

انقض «عثمان» على اللفة وهو يصيح: يا لك من ولد رائع ... إنك تفكر في الأكل بنفس الاقتدار الذي تفكر به في الألغاز!

وكان صوت القطار ما زال يزن في الغرفة ... واتجه إليه «أحمد» كأنه مغناطيس، وأخذ يتأمله ويتمتم: العربة الرابعة ... بعدها ثلاث عربات وقبلها ثلاث عربات ... ومع ذلك تم تحويلها ...

قال «عثمان» وهو يفتح الربطة الساخنة: دعك من القطار الآن وإلا أصبت بعسر هضم.

والتفَّ الشياطين الستة حول كومة الكباب والكفتة، وانهالوا عليها وكأنها عدو يجب القضاء عليه.

قالت «إلهام»: اتصل الضابط «أكرم» منذ نصف ساعة تقريبًا ... لا أخبار ... قاموا بمسح الطريق من أسوان إلى القاهرة ذهابًا وإيابًا دون أن يعثروا على أثر واحد ... يقومون الآن ببحث جوازات سفر جميع السياح في المنطقة!

قال «بو عمير» وهو يخلص شريحة لحم من عظمها: إنها عصابة من الأبالسة.

قال «خالد»: الأبالسة ضد الشياطين ... يا له من صراع!

وكان صوت القطار يزنُّ في الصالة الواسعة فقالت «زبيدة»: إن صوت هذا القطار سيصيبني باضطراب عصبي.

قال «أحمد» وهو يبتسم: سنكون جميعًا في حاجة إلى مستشفى للأمراض العصبية إذا لم نصل إلى حل لهذه القضية العويصة.

وانتهوا من تناول الطعام ... وبعد أن تناولوا بعض الفاكهة قال «أحمد»: سنستيقظ في الرابعة ... وننطلق في الرابعة والنصف ... إن السيارة تتسع لنا جميعًا وفيها كل مواد التموين اللازمة.

وعندما عبَر «أحمد» الصالة إلى غرفة نومه المشتركة مع «عثمان» ... وقف أمام القطار مرةً أخرى ... فمدَّ «عثمان» يده ونزع فيشة الكهرباء ... وتوقف القطار عن السير وقال: سوف تحلم بهذا القطار وأنت نائم!

رد «أحمد»: لعلني أستطيع حل هذه القضية في الحلم ... ما دمت لا أستطيع أن أحلها في الواقع.

وبعد لحظات ساد الفيلا صمت عميق ... فقد استسلم الشياطين الستة للنوم.

مخزن التاريخ

في الساعة الرابعة والنصف صباحًا دار موتور السيارة اللاندروفر وغادرت الحديقة ثم صعدت إلى شارع الهرم الساكن ... الذي لم يكن تقطعه في هذه الساعة المبكرة إلا بعض السيارات المسرعة تحمل آخر السهرانين في ملاهي الشارع الكبير.

كانت أضواء الفجر الباهتة تنتشر في جوانب الأفق ... والهواء المنعش ... والشياطين الستة مستسلمون للصمت ... كانوا جميعًا يفكِّرون، عدا «زبيدة» التي تولت الإشراف على احتياجات الرحلة ... فقد كانت تراجع على كشف معها ما تحمله السيارة من أطعمة وملابس، وأسلحة، وخيمة كبيرة تتسع لهم جميعًا ... وزاد «أحمد» من سرعة السيارة بعد أن تركوا شارع الهرم خلفهم، وبدءُوا الطريق الصحراوي ووجهتهم المنيا ... وهي المكان الذي حدده «أحمد» كأقصى ما يمكن أن ترتكب فيه حادثة السطو في اتجاه القاهرة، وقال «أحمد» قاطعًا الصمت المخيم على السيارة: أعتقد أننا سنصل إلى المنيا نحو الساعة التاسعة صباحًا.

ثم التفت إلى «زبيدة» منزعجًا وقال: هل أحضرتِ القطار معكِ؟

ردت «زبيدة» وهي تهز رأسها: لقد سألتني هذا السؤال من قبل، وقلت لك إنني أحضرته.

أحمد: ومعه بطاريات؟

زبيدة: نعم، فنحن لم نستخدم البطاريات التي كانت معه، وأدرناه في بيروت والقاهرة بالكهرباء.

وساد الصمت من جديد ... ومضت السيارة القوية تشق طريقها مسرعة.

وقال «خالد» بعد قليل: إن فكرة المنحنيات التي يُبطِئ القطار سيره عندها تستحق الدراسة، ولو كان في إمكاننا أن نحصل على معلومات عن هذه المنحنيات لكسبنا وقتًا ثمينًا.

قال «أحمد»: إنني متفق معك تمامًا ... وسوف نبدأ السؤال في المنيا.

بو عمير: إن الخريطة التي معنا توضح هذه المنحنيات.

أحمد: المنحنيات على الخريطة كبيرة جدًّا ... وقد يبلغ طول المنحنى عشرين كيلومترًا. ونحن في حاجة إلى معلومات أدق ... فبعض المنحنيات قد لا يزيد طولها على كيلومتر واحد ... وربما أقل ... وكل منحنًى من هذه المنحنيات قد يكون هو المكان الذي حددته العصابة.

بو عمير: في هذه الحالة كان يجب أن يركب أحدنا القطار من المنيا إلى قِنا ويحدد المنحنيات على الخريطة.

أحمد: ما زال هذا ممكنًا ...

وعاد الصمت يسود السيارة ... وفتح «عثمان» جهاز راديو ترانزستر على موسيقى خفيفة ... ونظر «أحمد» إلى ساعته ... ثم داس على بدال البنزين رافعًا سرعة السيارة إلى ١٢٠ كيلومترًا في الساعة.

وفي الثامنة و٤٥ دقيقة، بدأت السيارة تشق طريقها داخل مدينة المنيا حتى وصلت إلى محطة السكة الحديد ... وقال «أحمد» وهو يوقف السيارة: إنني أبحث عن صيغة معقولة أسأل بها ناظر المحطة عن منحنيات الطريق ... إنه بالقطع سوف يظنني مجنونًا.

قفزت «زبيدة» من السيارة قائلة: دع هذا للفتيات ... سوف أخترع لحضرة الناظر قصة ممتازة عن حلية فقدت مني عند أحد المنحنيات التي لا أذكرها ... و... و...

وابتسم الشياطين ... وأسرعت «زبيدة» تختفي داخل مبنى المحطة ... بينما قال «أحمد»: أظن أن في إمكانكم تناول إفطار مصري آخر ... طعمية ساخنة!

وعندما عاد «أحمد» يحمل لهم كميات السندوتشات للإفطار ... كانت «زبيدة» قد عادت هي الأخرى ... وسمع «أحمد» من بعيد مناقشة حامية بين الشياطين ... وأرهف أُذنيه ... إن المناقشة تدور حول صدفة غير معقولة ... وزاد سرعته حتى وصل إلى السيارة ووقف يستمع ... وقال «بو عمير»، موجهًا حديثه إلى «أحمد»: لقد عثرنا على ما كنت تبحث عنه ... صدفة غير معقولة ... أو قل إنها أفضل ظروف ممكنة للعصابة لتقوم بضربتها.

قال «أحمد» وهو يغمض عينيه: إنني أستمع إليكم ... وأتمنى أن تكون «زبيدة» قد عادت بمعلومات تحدد المنحنيات بدقة.

قالت «إلهام»: لقد عادت بمعلومات عن مكان الحادث!

أحمد: غير معقول!

إلهام: إذا استخدمنا أسلوبك في التفكير ... ووضعنا أنفسنا مكان العصابة فلا بد أنها استغلت هذه المعلومات لتحديد أفضل مكان للسرقة.

أحمد: كيف؟

إلهام: قولي يا «زبيدة».

زبيدة: ناظر المحطة يقول إن القطار لا يهدئ سرعته في المنحنيات فقط ... ولكن عند التصليحات أيضًا ...

أخذ «أحمد» نفسًا عميقًا وقال: هذا هو المكان المثالي فعلًا ... حيث يمكن الحفر لتركيب التوصيلة دون أن يلفت الأنظار ... وحيث يمكن أن تكون هناك أتربة حديثة دون أن يشك أحد ... وحيث يمكن أن تكون قطع من الخشب والحديد ... نعم ... نعم ...

وارتفعت نغمة الحماس في صوت «أحمد»، وأمسك «زبيدة» من ذراعها قائلًا: إنكِ شيطانة حقًّا ... وهل حددتِ المكان على الخريطة؟

قالت «زبيدة»: إنه ليس مكانًا واحدًا فقط ... إنهما مكانان ... أحدهما بين مدينتي صدفا وأسيوط، والثاني بين مدينتي أرمنت والأقصر.

قفز «أحمد» إلى السيارة قائلًا: المكان الأول أقرب إلينا ... وسننطلق فورًا إلى هناك.

ارتفعت الأحاديث في السيارة بعد ذلك ... وبدت ساندوتشات الطعمية أمتع وألذ ... وبعد ساعتين من القيادة المثيرة ... أشرفوا على مدينة صدفا، وقال «أحمد» وهو يبتسم: لعلكم لا تعرفون أن صدفا هي أخطر مراكز القتل في جمهورية مصر العربية ... ومنها خرج أشهر القتلة.

إلهام: هل تثير فزعنا مثلًا؟

أحمد: ليس من المستبعد أن نصطدم بمجرمين من صدفا، وهم جميعًا من المطاردين.

زبيدة: ما معنى المطاردين؟

أحمد: إنهم الأشخاص الهاربون من أحكام القضاء، يلوذون بالجبل المتسع حيث يصعب الوصول إليهم ... وإن كانت جهود رجال الأمن المصريين قد قضت إلى حد بعيد على هذه الظاهرة.

واقتربوا من المدينة الصغيرة. وعندما وصلوا إلى مشارفها، أخذوا طريقًا موازيًا لشريط السكة الحديد ... وسرعان ما عثروا على مكان الإصلاح ... وكان هناك مجموعة من العمال تتولى استبدال الفلنكات، وهي القطع الخشبية الضخمة التي تحمل القضبان الحديدية. ونزل «أحمد» و«بو عمير» واتجها إلى مجموعة العمال ... كانت الأسئلة التي في رأس «أحمد» تدور حول أشخاص غرباء تواجدوا في هذا المكان في الفترة الأخيرة ... وعن موعد البدء في الإصلاح ... وهل هناك ملاحظات عن أية أشياء غريبة حدثت أثناء الإصلاح.

ولم تكن هناك أية إجابات مشجعة ... لا أشخاص غرباء ... لا أشياء غير عادية. وعن تاريخ الإصلاح قالوا إنهم بدءُوا منذ عشرين يومًا تقريبًا.

قال «أحمد» يسأل رئيس العمال: هل أنتم الذين تتولون إصلاح الطريق عند أرمنت؟

ردَّ رئيس العمال: لا ... إنها مجموعة أخرى تتبع محافظة قنا!

وأشار «أحمد» إلى بقية الأصدقاء فنزلوا من السيارة ... وأخذوا يطوفون بمنطقة الإصلاح ... يفحصون قطع الأخشاب المتناثرة ... وآثار الحفر هنا وهناك ... ويتتبعون آثار الأقدام الذاهبة إلى الجبل القريب ... وكان العمال يتبعونهم بأعينهم مندهشين، ولكن الشياطين كانوا يعرفون ما يبحثون عنه ... ومضت الساعات وهم يوسعون دائرة بحثهم ... ولكن ... لا شيء على الإطلاق.

أشرفت الساعة على الثالثة مساءً. وقرر الشياطين الانطلاق فورًا إلى مكان الإصلاح الثاني عند الأقصر ... وكانت الشمس قد ألهبت رءوسهم ... وأحسوا بالجوع والعطش والحاجة إلى الراحة بعد عناء السفر الطويل ... ولكن «أحمد» كان مستغرقًا في التفكير وكأنه قد انفصل بفكره عنهم جميعًا ... كان يشعر كأن عجلات القطار تدور في رأسه، إن مكان الإصلاح أوحى له بأفكار كثيرة ... أفكار عائمة ... ولكنه يحاول أن يبلورها ... ومضت السيارة تهدر على الطريق تحت أشعة شمس الصعيد الحامية ... وتناولوا بعض الساندوتشات وشرب كل منهم زجاجة كوكا كولا مثلجة من الثلاجة الصغيرة الموضوعة تحت الكراسي. وفي السادسة مساءً كانوا قد أشرفوا على الأقصر ... المدينة التاريخية حيث أكبر مجموعة من الآثار في مكان واحد ... وادي الملوك ... وادي الملكات ... معبد الكرنك الشهير. قال «أحمد» وهو يشير إلى المدينة: إنكم مقبلون على مخزن التاريخ.

ودارت رءُوس الشياطين تنظر هنا وهناك ... ثم تجاوزوا المدينة والتزموا مرةً أخرى خط السكة الحديد ... وبعد ٤٠ كيلومترًا تقريبًا ... أشار «خالد» إلى مكان الشريط وقال: هذه مجموعة من أخشاب الفلنكات الجديدة. يبدو أن الإصلاح كان هنا.

أوقف «أحمد» السيارة على جانب الطريق وقفز من السيارة ... ووقف يتأمل ما حوله ثم قال: انظروا إلى هذه التلال ... هذا المنحنى الصغير عند مكان الإصلاح ... لو كنت مكان العصابة ...

وأكملت «إلهام»: ... لقمت بعملية السطو في هذا المكان!

وضحك الشياطين.

رأس الثعبان

سنعسكر هنا الليلة.

قال «أحمد» هذه الجملة وهو يشير إلى الجانب الغربي من الطريق ... وسرعان ما كان الشياطين الستة ينزلون الخيمة ... وعاد «أحمد» يقول: لقد حدث كل شيء هنا ... لا بد أن يكون قد تمَّ هنا ...

قال هذا وكأنه يحدث نفسه ... ومضى الشياطين في عملهم ... وتركهم «أحمد» وأخذ ينظر حوله. مكان نموذجي للسرقة. وربما كان هذا هو خطأ العصابة الوحيد ... إن وجود مكان ممتاز للسرقة يحدد على الفور ما حدث ... ولكن أين الأدلة؟ أين التحويلة وكيف أعدوا الخطة. أهم من هذا كله ... أين عربة القطار المحملة بالذهب؟ إنها لم تختفِ في الهواء ... لا يمكن أن توضع في منديل كما يفعل الساحر بالفيل ... إنها هنا في مكان ما حوله. في هذه الجبال الصلبة الصفراء. ولكن أين؟

ظلَّ يتجوَّل في المكان. فحص القضبان. إنها جديدة لأنهم غيروها، وهكذا فإنه لن تظهر عليها أية آثار، ولو كانت قضبانًا صدئة لبدت آثار ربط التحويلة. لقد أعدوا خطتهم ببراعة وساعدتهم الظروف وكأنها تعمل معهم.

وعاد إلى الشياطين. كانت الخيمة قد انتفخت ووقفت في ظل تل مرتفع. وأخذت الأدوات تنقل من السيارة ... ومد سلك به لمبة كهرباء موصلة بموتور السيارة الدائر.

وعندما مالت الشمس للمغيب كان معسكر الشياطين قد أُعدَّ، وجلسوا خارج الخيمة يتحدثون ويرسمون خطة البحث.

قالت «زبيدة»: أعتقد أننا يجب أن نحفر خطًّا موازيًا لخط السكة الحديد بامتداد خمسين أو مائة متر. إن التوصيلة التي نبحث عنها لا بد ستترك آثارًا، وهم بالطبع قد

غطوا هذه الآثار ... وإذا استطعنا أن نحفر هذا الخط في المنطقة التي نتصور أنهم نفَّذوا خطتهم فيها ... فربما عثرنا على أثر.

قال «أحمد»: معقول ... معقول جدًّا ... سنحفر على الجانبين. الجانب الشرقي ثم الغربي. ولكن هل معنا أدوات حفر؟

زبيدة: للأسف لم يخطر ببالي أننا سنحتاج إليها.

أحمد: إنه خطئي ... فقد كان يجب أن أُفكر عند إحضار السيارة ...

بو عمير: على كل حال يمكن الحصول عليها من مدينة الأقصر.

هبط الظلام تدريجيًّا على المنطقة الموحشة. وساد الصمت. وقال «أحمد»: سيظهر القمر في ساعة متأخرة. أريد أن أتجول في المنطقة قليلًا.

وقام وفكَّر قليلًا ثم قال: هل تأتي معي يا «بو عمير»؟

بو عمير: طبعًا ... هل أحضر سلاحًا؟

أحمد: نعم. فهذه المنطقة تنتشر فيها الثعابين. وهات بطارية.

وسار «أحمد» و«بو عمير» ... وبين لحظة وأخرى كان «بو عمير» يطلق شعاعًا من بطاريته. وسارا خلف التل وقال «أحمد»: إنني في حاجة إلى دليل واحد ... دليل صغير فقط على أنهم كانوا هنا ... إن المكان مناسب جدًّا ... إنه المكان النموذجي ... هناك منحنًى قريب يهدئ القطار فيه من سرعته. هنا إصلاح يمكن أن يخفي آثار تركيب الوصلة. وهنا تلال يمكن الاختباء فيها. ولكن هذا كله ليس دليلًا، إنه إمكانيات ممتازة فقط!

فجأة جمد «بو عمير» مكانه وهو يطلق ضوء بطاريته. ثم قال: ثعبان!

ووضع البطارية في يده اليسرى وسحب مسدسه بسرعة، واتجهت عينا «أحمد» إلى حيث سقط الشعاع. كان الثعبان الطويل ممددًا في هدوء على الرمال. ولاحظ «أحمد» على الفور أن عددًا هائلًا من النمل مجتمع حوله فقال: إنه ميت.

قال «بو عمير»: نعم ... ميت!

واقترب أكثر ووجَّه ضوء بطاريته بتركيز شديد على رأس الثعبان ثم قال: مات بطلقة رصاص!

أحمد: رصاص!

بو عمير: نعم ... طلقة رصاص أصابت الرأس تمامًا.

أحمد: إن الفلاحين لا يقتلون الثعابين بالرصاص ... إنهم يقتلونها بالفئُوس. هل أنت متأكد؟

بو عمير: نعم ... إنه عملي.

أحمد: إنك أكثرنا خبرةً بأدوات القتل ... ولكن ... هل أنت معي؟

وفهم «بو عمير» على الفور ما يقصده «أحمد» وقال: نعم.

واقترب من الثعبان وجلس القرفصاء ... ثم أخرج مطواة ضخمة من حزامه، وبضربة واحدة فصل رأس الثعبان. ثم علقها بطرف المطواة وعلى ضوء البطارية أجرى «بو عمير» عملية تشريح سريعة للرأس، ثم مد أصابعه وأخرج رصاصة وضعها على كفه وقال: أطلقت من مسدس كولت عيار ٤٥مم.

انحنى «أحمد» على الرصاصة وأمسكها بين أصابعه ونظر إلى «بو عمير» ... ولاحظ «بو عمير» رغم الظلام النظرة اللامعة في عيني «أحمد» وقال: هل هذا هو الدليل الذي كنت تبحث عنه؟

قال «أحمد» وهو يقف: نعم ... لقد كانوا هنا ... بل هم هنا حولنا في مكان ما يا «بو عمير» ... هيا بنا نعد.

أسرعا إلى حيث كان بقية الشياطين ما زالوا جالسين يتحدثون ... وجلس «أحمد» وسط دائرة الضوء وفتح يده وقال: رصاصة في رأس ثعبان. مسدس كولت ٤٥مم.

وفهم الشياطين ما يقصده «أحمد». وقذف «عثمان» كرته الجهنمية إلى فوق وقال: والآن أين الرءُوس التي أضربها؟

رد «أحمد»: ستكون هناك رءُوس كثيرة تستحق الضرب ... ولكن هناك مسألة هامة ... إن العصابة لا يمكن أن تكون قد أتت وعسكرت هنا وقامت بمد التحويلة دون أن يشعر أحد ... إن ذلك مستحيل. إنها جاءت ونفَّذت خططها تحت ستار من التمويه الدقيق ...

إلهام: سواح مثلًا!

أحمد: ممكن ... ولكن ماذا يدعو مجموعة من السواح للحفر والتركيب. لا. إنهم هنا تحت ستار آخر ...

ونظر «أحمد» في ساعته ثم قال: الساعة الآن التاسعة والربع ما زال أمامنا وقت للذهاب إلى الأقصر والسؤال ... إن أقرب مدينة فيها فنادق هي الأقصر ... إنهم لم يناموا في الصحراء مثلنا ... إنهم ينامون في فنادق محترمة ... ويخرجون للعمل ليلًا ... ستأتي معي «إلهام» و«زبيدة» و«بو عمير».

وانطلق الأربعة بالسيارة وقال «أحمد»: ستكون وجهتنا فندق «ونتر بالاس» إنه أفخم فنادق المدينة. وقد علمتني التجارب أن اللصوص يختارون أفخر الفنادق، ويعيشون حياة مثالية في ظاهرها، فذلك في اعتقادهم أفضل طريق لإبعاد الشبهات عنهم!

وبعد نصف ساعة كانوا أمام الفندق الفخم. وكانت الأضواء تملأ جوانب الساحة الخارجية. وعشرات من الناس يتحركون في كل اتجاه ... وموسيقى راقصة تنساب من الأبواب الزجاجية. والخدم بثيابهم الحمراء المزركشة يقفون قرب الأبواب يفتحون للداخلين والخارجين.

قال «بو عمير» وهم ينزلون من السيارة: هل عندك خطة معيَّنة؟

أحمد: لا شيء أكثر من أننا نبحث عن رجل يحمل مسدس كولت ٤٥مم.

زبيدة: وهل تتصور أنه سيضعه أمامه على المائدة حتى نتعرف عليه؟

ابتسم «أحمد» وقال: نعم ... هذا ما أتوقعه ...

وضحك الأربعة وهم يدخلون إلى صالة الفندق الواسعة ... كانت هناك فرقة موسيقى تعزف وبعض الراقصين في حلبة الرقص ... وآخرون حول الموائد ... وكان أكثر الموجودين من الأجانب ... واختار «أحمد» مائدة في مكان خافت الضوء وجلسوا ... وقال «أحمد»: شيء مدهش هذا العدد الكبير من السواح في الصيف ...

وعندما حضر الجرسون الشاب قال له «أحمد» نفس الملاحظة فقال الجرسون: الواقع أنهم ليسوا جميعًا سواحًا ... فعدد منهم أعضاء بعثة أثرية تقوم بالحفر بحثًا عن كنوز التاريخ المدفونة في أرض مصر كالمعتاد.

عاد «أحمد» يسأله: ومن أين أتت هذه البعثة؟

ردَّ الشاب: لا أعرف يا أستاذ ... فقد تسلمت عملي أمس فقط.

فقال «أحمد»: أرجو أن تسأل متى أتوا ... وكم عددهم ... وإلى أي جنسية ينتسبون ... ولك عندي مكافأة سخية؟

وبعد أن كتب الشاب ما طلبه الشياطين الأربعة انصرف، وقد وعدهم أن يعود إليهم بالمعلومات التي طلبها «أحمد» ... وانصرف الشياطين للاستمتاع بالرقص ... وفجأة قال «أحمد» لـ «إلهام» وهو يقف وينحني أمامها: هل تسمحين بهذه الرقصة؟

دهشت «إلهام». وابتسمت «زبيدة». وزَمَّ «بو عمير» شفتيه ... ثم قامت «إلهام» وتقدمت «أحمد» إلى باحة الرقص المزدحمة ... واندمجا في رقصة سريعة صاخبة، ونسيت «إلهام» نفسها وانهمكت بالاستمتاع في الرقصة، ولكنها لاحظت أن وجه «أحمد» لم يكن وجه شخص يرقص. فقد بدت عليه علامات الحذر والتوقع ... ولاحظت أنه يقودها للاندماج وسط الراقصين ... بل لاحظت أكثر أن «أحمد» ... وهو راقص ماهر يتعمد أن يرتكب أخطاء ضايقت بعض الراقصين الآخرين ... ولكنها أدركت لماذا يفعل «أحمد»

هذا ... خاصةً عندما احتضنها وشعرت بأنفاسه الساخنة تلفح رقبتها وهو يهمس في أُذنيها: رجل مسلح!

همست أيضًا: ذلك الذي تعمدت أن تخبط فيه؟

أحمد: نعم ... انظري إليه جيدًا ... إن شكله يعتبر نموذجًا لرجل العصابات.

ودار «أحمد» ليقرِّب «إلهام» من الرجل ... ونظرت إليه «إلهام» من تحت رموشها المسبلة ... كان قصير القامة. عريض الكتفين بشكل غير مألوف كأنه مصارع ... كثيف الشعر. عصبي الحركات. حذر العينين كأنه ذئب مطارد ... ولاحظت كما لاحظ «أحمد» قبلها ذلك الانتفاخ قرب الحزام ... مسدس ضخم تحت الجاكت الأصفر الغامق ومن بين كل الحاضرين لم يكن هناك سوى رجلين يلبسان الملابس الكاملة.

قالت «إلهام» لـ «أحمد»: هل يكفي هذا للتدليل على أنه أحد ممن نبحث عنهم؟

ردَّ «أحمد»: ولكن أليس مثيرًا للشبهات بما يكفي لمتابعته ... جاكت في هذا الحَرِّ ... مسدس في الحزام ... عيون حذرة ... وجه شرس ...

ومن بعيد كان «بو عمير» و«زبيدة» يرقبان «أحمد» و«إلهام» ... وقالت «زبيدة» بخبث: إن حديثهما الهامس لافت للأنظار ...

وقبل أن يرد «بو عمير» ... وصل الجرسون الشاب وسأل عن «أحمد» ... فقال «بو عمير»: تستطيع أن تقول لي معلوماتك.

ومال الشاب على «بو عمير» وأخذ يتحدَّث.

ماذا تحت الأرض؟

عاد «أحمد» و«إلهام» إلى المائدة. فقال «بو عمير»: بعثة الآثار في مصر منذ ثلاثة شهور، تعمل في المنطقة بين الأقصر وأرمنت ... أعضاؤها جميعًا من الفرنسيين.

استمع «أحمد» بانتباه إلى هذه المعلومات ثم قال: الرجل القصير ذو الجاكت الأصفر يحمل مسدسًا في حزامه. حاولت الاصطدام به لإسقاط المسدس حتى أتعرف عليه ولكني لم أنجح.

قالت «زبيدة»: أستطيع أن أنجح أنا ... هيَّا نرقص يا «بو عمير».

وانطلق الشابان. وانهمكا في الرقص، و«أحمد» و«إلهام» يرقبان خطة «زبيدة»، وسرعان ما حققت الفتاة الذكية ما أرادت ... فقد استطاعت أن تراقص الرجل ذا المسدس ... بينما انتقلت السيدة التي كانت تراقصه إلى «بو عمير».

كان الرجل القصير شديد السعادة بالفتاة السمراء التي هبطت عليه من السماء ... فأخذ يبذل ما في وسعه ليجاريها في الرقص ... وزادت سعادته عندما احتضنته «زبيدة» ودارت به في الحلقة وهو يبتسم وقد تخلَّى عن حذره ... واستسلم لـ «زبيدة» تحركه كيف تشاء ...

قالت «إلهام»: يا لها من فتاة!

ثم لاحظا أن «زبيدة» والرجل يتحدثان ويبتسمان ... ثم غادرا باحة الرقص إلى شرفة الفندق ... بينما استمر «بو عمير» يرقص مع زميلة الرجل ... كان «بو عمير» بقوامه الفارع الأسمر قد انهمك في الرقص وأصبح موضع اهتمام المتفرجين ... وكانت زميلته الشقراء تباريه في المهارة ... ومضى الوقت وارتفعت درجة حرارة الرقص.

فقال «أحمد»: يبدو أننا سنحل المشكلة عن طريق الرقص لا عن طريق الاستنتاج ولا العنف ...

إلهام: هل أخرج لأرى ما يحدث؟ قد يلجأ الرجل إلى العنف مع «زبيدة» إذا اكتشفت أنها تحاول معرفة حكاية المسدس!

أحمد: سنخرج معًا.

وخرجا إلى الشرفة. ولم يكن هناك الرجل ولا «زبيدة». ونزلا إلى الحديقة ... ولكن الرجل و«زبيدة» كانا غير موجودين أيضًا ... وعلى امتداد البصر خلف الفندق لم يكن هناك أحد سوى المصابيح الضئيلة تشترك في محاولة لتبديد الظلام.

لم يتحدثا ... فقد كان كل منهما يعرف ما يفكر فيه الآخر ... هل أوقع الرجل بـ «زبيدة» وعرف حقيقتها ... أو أن «زبيدة» هي التي أوقعت بالرجل؟ وأين هما؟ ولم يكن من الممكن الوصول إلى إجابة.

وعادا إلى صالة الرقص مسرعين ... ولم تكن «زبيدة» قد عادت ... بل كان «بو عمير» والشقراء يجلسان مع عدد من الأجانب والجميع يتحدثون.

قال «أحمد»: سننتظر حتى ينتهي «بو عمير».

ومرَّ الوقت. وبدأت الصالة تخلو من روادها، ثم خرج «بو عمير» مع المجموعة التي كان يجلس معها ... ولم يكن أمام «إلهام» و«أحمد» إلا أن يخرجا ... ووجدا «بو عمير» ومن معه قد اتجهوا إلى شاطئ النيل ... وبدءُوا يركبون قاربًا ... فقال «أحمد»: سنعود إلى المعسكر وننتظر.

وركبا السيارة وعادا.

ووجدا «عثمان» و«خالد» قد تمددا خارج الخيمة على ظهريهما يتأملان النجوم البعيدة في الظلام ... وشرح «أحمد» في كلمات موجزة ما حدث ... وتم توصيل لمبة الكهرباء بموتور السيارة ... وعاد الضوء يغمر المكان.

قال «عثمان»: ماذا تتوقعان من غياب «زبيدة»؟

أحمد: لا أدري ... ولكن من المؤكد أنها ستعود بمعلومات.

ولم ينتهِ «أحمد» من جملته حتى سمعوا صوت أقدام مقبلة ... وظهر شبحان من بعيد وقفا يتحدَّثان ثم انصرف أحدهما وأقبل الآخر ... وقال «أحمد» بسرعة لـ «عثمان»: اتبع الشبح الذي انصرف إنه الرجل ذو المسدس.

وأسرع «عثمان» ينسل في الظلام ... وجاءت «زبيدة» وجلست، ومضت تقدِّم تقريرًا سريعًا: الرجل يدعى «لنك» وهو مهندس معماري ملحق ببعثة الآثار ... وقد ذهبت معه إلى معسكر البعثة وهو قريب من هنا ... بعد أن أقنعته أنني مهتمة بالآثار ... قال لي

إنهم يبحثون عن تمثال كبير لأحد ملوك الفراعنة، وإن مصلحة الآثار تقدم لهم كل عون. وقد قاموا بعدة حفريات خلال الشهور الثلاثة ولكنهم حتى الآن لم يوفَّقوا ... ووجدت في المعسكر ثلاثة من أعضاء البعثة ... وقد أوصلني «لنك» إلى هنا، على موعد أن نلتقي غدًا وهم يعملون.

سأل «أحمد»: والمسدس؟

ابتسمت «زبيدة» قائلة: إنني لم أنسَ مهمتي الأصلية ... فقد قلت له إننا مجموعة من الشباب جئنا لزيارة مناطق الآثار ... وإن ما يضايقنا هو وجود الثعابين والعقارب في المنطقة.

وسكتت «زبيدة» لحظات ثم قالت: وقال لي «لنك» بمنتهى البساطة إنه قتل ثعبانًا ضخمًا قريبًا من معسكرنا بطلقة من مسدسه.

ابتسم «خالد» قائلًا: يا لكِ من داهية.

وعاد «أحمد» يسأل: ما هو نوع الآلات والتجهيزات التي معهم؟

زبيدة: الأدوات التي توجد في عمليات الحفر كلها ... الفئُوس ... الرافعات.

أحمد: لا شيء يلفت النظر؟

زبيدة: لم يكن هناك ضوء كافٍ لرؤية كل شيء ... ولكن غدًا في النهار سأدقق في فحص كل ما عندهم.

برز من الظلام شبح «عثمان» وتقدم وجلس ... بدا سارحًا قليلًا وهو يقول: لقد أفلت مني ... شيء لا يصدق ... كنت أسير قريبًا منه بين التلال قريبًا من هنا ... وفجأة اختفى كأن الأرض انشقت وابتلعته ...

اهتم «أحمد» بحديث «عثمان» وقال: انشقت الأرض؟

عثمان: لا أقصد بالضبط أن الأرض انشقت ... ولكن اختفى بطريقة غامضة ...

عاد «أحمد» يقول: إن التعبير معقول جدًّا ... لقد انشقت الأرض وابتلعت عربة الذهب ... وها هي تنشق مرة أخرى وتبتلع «لنك» ...

وساد الصمت الأصدقاء ... ولم يعد يقطع السكون إلا صوت موتور السيارة وهو يدور في رتابة. قال «أحمد»: لقد قضينا يومًا شاقًّا ... في إمكانكم أن تناموا ... سأقوم بالحراسة أول الليل ... وسأنتظر حضور «بو عمير» ...

وأخرج «أحمد» القطار الصغير من علبته، وأداره وجلس بجواره، يتأمله. ومضت ساعتان، وظهر «بو عمير»، فانضم إلى «أحمد» ... وقال: إن البعثة الأثرية لا غبار عليها.

أحمد: كيف؟

بو عمير: لقد تحدثت مع مفتش الآثار المصري. فقال لي إن البعثة متفق على حضورها منذ العام الماضي ... ورئيسها هو المليونير والعالم الأثري الفرنسي الشهير «رينيه بلانكارد» وهو الرجل الطويل القامة ذو اللحية الذي كنت أجلس بجواره في الفندق.

أحمد: لقد لاحظته ... إن مظهره يوحي بالاحترام حقًّا ... بلحيته الصغيرة وعويناته الذهبية الرقيقة. وهذا الانحناء الخفيف في أكتافه دليل الانكباب على القراءة.

بو عمير: وقد تحدثت مع أعضاء البعثة وفهمت أنهم لم يعثروا على شيء بعد ... ونظرًا لاشتداد الحرارة فقد قرروا إيقاف العمل، على أن يعودوا في الشتاء القادم.

قال «أحمد» بضيق: إن هذه المعلومات للأسف الشديد تحطم أفكاري كلها، فقد كنت أتصور أنها عصابة جاءت في ثياب علماء الآثار للاستيلاء على عربة الذهب ولكن حديث مفتش الآثار ... وإشراف الحكومة على أعمال البعثة لا يدع مجالًا للشك فيها.

بو عمير: شيء يدعو إلى اليأس.

أحمد: ولكن الحقيقة التي لا يمكن تناسيها أن عربة «قطار الذهب» قد سرقت فهي لم تختفِ وحدها ... فأين ذهبت؟ ومن الذي ...

بو عمير: ألا يمكن أن تكون البعثة بريئة ... ولكن بعض أفرادها هم الذين قاموا بالسرقة!

أحمد: هذا ما سنحاول أن نثبته غدًا ... هل تستطيع تقديمي إلى رئيس البعثة المسيو «رينيه»؟

بو عمير: بالطبع ... فقد أصبحنا أصدقاء.

أحمد: إلى الغد إذن ... فإذا لم نصل إلى شيء، فلا بد أن نعيد حساباتنا كلها. وعليك أن تنام الآن، وسأوقظ «عثمان» بعد قليل لتولي الحراسة حتى الصباح.

بعد لحظات عاد الصمت يلف المكان ... وجلس «أحمد» وحيدًا تحت النجوم يفكِّر ... لقد كانت حساباته كلها معقولة ... المسافة التي قطعها القطار ... المكان النموذجي للسرقة ... الإصلاحات التي تخفي آثار التحويلة ... رصاصة المسدس الكولت في رأس الثعبان والتي تدل على وجود غرباء في المكان ... ولكن كل هذا لا يصمد أمام الحقائق، أن «لنك» عضو في بعثة محترمة للبحث عن الآثار ... وأن هذه البعثة حضرت بعلم الحكومة وبمواعيد محددة ...

وهزَّ «أحمد» رأسه وهو يصيح في الظلام: إذن كيف اختفت عربة القطار؟ ونظر إلى ساعته ... كانت قد أشرفت على الثالثة صباحًا ... وأحس بالنوم يداعب عينيه فقام بإيقاظ «عثمان».

وعندما استسلم «أحمد» للنوم ... نظر «عثمان» حوله ... ثم تسلل بهدوء مبتعدًا عن المعسكر ... إن اختفاء الرجل عند التل القريب لا يمكن أن يمر دون أن يبحثه ... هناك شيء غريب في هذا الاختفاء. لقد كان أمام عينيه ثم فجأة اختفى ...

واقترب «عثمان» من التل ... وأخذ يدور حوله ويدور ... وخُيِّلَ إليه أنه يسمع حركة ما ... ووقف وقد تحوَّل إلى كتلة من الانتباه!

أبرياء ومتهمون!

بدأ الصباح بداية مثيرة ...

استيقظ الشياطين الخمسة فلم يجدوا «عثمان» ... كانت السادسة صباحًا فتصوروا أن «عثمان» ذهب يتمشى وسيعود ... ولكن حتى الساعة السادسة لم يظهر «عثمان» ... السابعة لم يظهر «عثمان» ... الثامنة والنصف «عثمان» ما زال متغيبًا.

قال «أحمد»: لقد بدأ أخيرًا اشتباكنا مع العصابة ... إنهم كما أحسست في البداية قريبون منا. وقد بدءُوا هم. وعلينا أن نرد ...

كان يتحدث وهو ينظر إلى قرص الشمس الصاعد ... وكوب الشاي في يده يرتشف منه مفكِّرًا، وقد حملت كلماته إلى الشياطين إحساسًا بأنهم مقبلون في هذا اليوم على شيء ما خطير ... فأخذ «بو عمير» يراجع الأسلحة التي معهم ... وأخذ «خالد» يطوح بذراعه في الهواء وكأنه يضرب عدوًّا غير منظور.

وعاد «أحمد» يقول: سأذهب مع «بو عمير» لمقابلة الدكتور «رينيه» رئيس البعثة الأثرية ... وسوف أحدثه عن شكوكي في «لنك»، وستذهب «زبيدة» لمقابلة «لنك» ... وأهم ما يجب أن نلاحظه أدوات الحفر التي يستعملونها ... إنني أتوقع أن يلفت نظرنا شيء ... وسيكون هذا الشيء هو بداية البحث.

إلهام: ولكن كيف تفضي بشكوكك عن «لنك» وأنت لا تملك حتى الآن شيئًا ضده؟ إن رجلًا يقتل ثعبانًا بمسدس لا يعني أنه رجل عصابات ... وأنه اشترك في سرقة عربة القطار ... إلى آخره.

قال «أحمد» في هدوء: إنني لن أتحدث عن ثعابين وعن قطارات الذهب. إنني سأتحدَّث فقط عن غياب «عثمان»، وأقول إنني أشتبه أن «لنك» قد تشاجر معه ... وسأرى ردود

الفعل ... إنني بالتعبير الأدبي أريد أن ألقي حصاة في الماء الراكد ... لنرى ماذا سيحدث ... تمامًا كما قال «عثمان» إن الأرض انشقت ... لقد كان يعَبِّر عن شيء أحسَّه ولكن لم يدركه عقله ... وأنا أحس أن «لنك» له يد في عملية القطار ... وإن كانت الأدلة المتوفرة لا تقنع العقل.

خالد: وماذا عني وعن «إلهام»؟

أحمد: ستنتظران عودة «عثمان». وتفتحان عيونكما جيدًا ... لقد عرف «لنك» أننا نشتبه فيه. وأعتقد أن له يدًا في اختفاء «عثمان»، وقد يسعى لعمل آخر ضدنا.

اتجه «أحمد» و«بو عمير» إلى الفندق حيث ينزل الدكتور «رينيه» مدير البعثة وممولها، وبقيت «زبيدة» في انتظار موعد ذهابها إلى «لنك» في التاسعة.

واتصل «بو عمير» بـ «رينيه» من قاعة الاستقبال ... وقال له إن صديقه «أحمد» يريد مقابلته لأمر هام ... فطلب منهما الصعود فورًا إلى الجناح الذي ينزل به. وسرعان ما كان الاثنان يستقلان المصعد إلى فوق.

استقبلهما المليونير العالم بابتسامة مرحبة ... كان طويلًا ونحيفًا وبلحيته الصغيرة الشقراء وعويناته الذهبية كان يمثِّل العالم خير تمثيل.

ونظر «رينيه» إلى «أحمد» وقال: ما هو الشيء الهام الذي أردت مقابلتي من أجله؟

تحفَّز «أحمد» وركَّز نظراته على وجه العالم الهادئ وقال: اختفى أحد زملائي ليلة أمس في الظلام ... ولم يظهر حتى الآن ... وإني أشتبه أن أحد رجال بعثتك له دخل في اختفائه ...

زوى «رينيه» حاجبيه ثانيةً واحدة، وتقلص فكه قليلًا وقال: من هو الرجل الذي تشتبه فيه يا صديقي؟

قال «أحمد»: «لنك» ...

رينيه: وكيف اشتبهت فيه؟

ولدهشة «بو عمير» الشديدة، سمع «أحمد» يروي قصة غريبة، قال «أحمد»: لقد تصادق أمس «لنك» مع فتاة من زميلاتي اسمها «زبيدة»، وقد صحبها «لنك» في الظلام إلى ناحية معسكرنا، ثم سمعناها تستغيث فأسرع زميلنا «عثمان» لنجدتها واشتبك مع «لنك» في معركة بالأيدي ... وفي الصباح لم نجد صديقنا ... وأعتقد أن «لنك» قتله ...

رفع «رينيه» وجهه وابتسم قائلًا: إنك تتسرع في الاستنتاجات والاتهامات يا صديقي الشاب.

ولدهشة «بو عمير» مرةً أخرى قال «أحمد» بعصبية زائدة: إذا لم يعد صديقي خلال ساعة واحدة فسوف أخطر رجال الشرطة، وسأتهم «لنك» بقتله أو اختطافه.

قال «رينيه»: أرجو أن تتمالك أعصابك قليلًا يا صديقي الشاب. ودعني أعالج هذه المسألة ... إن «لنك» ينام في المعسكر ... وسأُرسل سكرتيرتي إليه وستعود به وسنعرف الحقيقة منه.

وقام «رينيه» وخرج من الغرفة، وغاب بضع دقائق ثم عاد قائلًا: ستذهب بالسيارة وتعود فورًا.

وطلب «رينيه» بعض المشروبات ثم قال لـ «أحمد»: إن مظهر «لنك» يوحي بالشر فعلًا، وعندما تقدم للانضمام إلى البعثة ترددت كثيرًا في قبوله. ولكن لم يتقدم إلى البعثة مهندس سواه!

أحمد: ألم تشتبه في تصرفات «لنك» أثناء عمله؟

ضاقت عينا «رينيه» وقال: أي تصرفات ... علاقاته بالآخرين مثلًا؟

أحمد: لا ... ألم يكن يتغيب عن عمله أحيانًا ... ألم يكن يختفي في بعض الليالي؟

وقف «رينيه» بعد حديث «أحمد» وقال وقد بدا عليه التفكير: نعم ... لقد لاحظت ذلك فعلًا، ولكن ما معنى هذا؟

أحمد: لعلك سمعت يا دكتور «رينيه» عن حادث سرقة قطار الذهب؟

رينيه: نعم!

أحمد: إنني أشك أن «لنك» له ضلع في الحادث.

رينيه: ليس هذا ببعيد ... بمنتهى الصراحة لقد اكتشفت أن أوراق «لنك» التي قدمها للالتحاق بالبعثة كانت مزيفة، ولكن للأسف كان هذا بعد وصولنا إلى مصر. وقد قررت أن أختبره، ولدهشتي الشديدة أثبت جدارة في العمل، وهكذا تغاضيت عن موضوع الأوراق حتى العودة إلى فرنسا. فلم أحب أن يعلق بسمعة البعثة التي أرأسها أية شائبة.

وسكت «رينيه» لحظات ثم مضى يتجوَّل في الغرفة. وقد بدت عليه علامات الضيق وعاد يقول: سوف أسلمه لرجال الشرطة بيدي الآن، وسأقدِّم لهم أوراقه المزيفة.

وفي هذه اللحظة دق جرس التليفون ... وأسرع الدكتور «رينيه» يرد وسمعه الصديقان وهو يقول بصوت مرتفع: غير معقول؟ كيف؟! أبلغي الشرطة!

ووضع «رينيه» السماعة ثم قال لـ «أحمد» و«بو عمير»: لقد اختفى «لنك» لا أحد يعرف كيف ولكني طلبت إبلاغ الشرطة ... وسأذهب بنفسي للإبلاغ عنه ... ولعله يكون قد سرق شيئًا من المعدات.

وأخذ «رينيه» يفرك كفيه بعصبية ويقول: لقد كان يجب أن أرفضه ... من الواضح أنه لص حقير، على كل حال لقد انتهى عملنا، وسنغادر المدينة غدًا في الفجر!

وترك الصديقان «رينيه» يحدث نفسه، وانطلقا مسرعين ... وكانت وجهتهما معسكر الشياطين أولًا ... كان «خالد» و«إلهام» يجلسان تحت الخيمة، اتقاءً لحرارة الشمس المحرقة ... ولم تكن «زبيدة» قد عادت. وروى «أحمد» لـ «إلهام» و«خالد» ما حدث ثم قال: سننطلق فورًا إلى معسكر البعثة ... إنني أريد أن أراه عن قرب ... ولعل «زبيدة» قد تكون لاحظت شيئًا.

وأسرع الأربعة إلى هناك ... وكان «رينيه» قد سبقهم ... ووجدوه يقف بين أفراد البعثة ولم تكن «زبيدة» موجودة.

قال «أحمد»: أين زميلتنا؟

رينيه: أية زميلة؟

أحمد: «زبيدة» ... لقد كانت على موعد مع «لنك» في التاسعة هنا!

التفت «رينيه» إلى رجاله قائلًا: هل حضرت هنا فتاة لمقابلة «لنك»؟

هز الرجال رءُوسهم وقال واحد منهم: لم تحضر إلى هنا فتيات!

وقف الشياطين الأربعة مذهولين ... وقال «رينيه»: ما هي حكاية أصدقائكم الذين يختفون كل يوم ... إنني لا أكاد أصدق شيئًا!

ثم التفت «رينيه» إلى سكرتيرته وقال: هيَّا بنا!

وركب سيارته وانطلق ... وبقي الشياطين الأربعة ينظرون حولهم ... وكان رجال البعثة يحزمون أدواتهم وحقائبهم ويضعونها في السيارات الضخمة التي كانت تقف حول المعسكر.

أخذ «أحمد» ينظر حوله متمعنًا مفكرًا. وكانت عيناه الثاقبتان ترمقان كل شيء في المعسكر وتقفان عنده ... وفجأة التفت إلى الشياطين الثلاثة وقال: هيا بنا.

وركبوا السيارة وعادوا إلى معسكرهم ... وقال «أحمد» موجِّهًا حديثه إلى «إلهام»: هل اللاسلكي على ما يرام؟

إلهام: بالطبع.

أحمد: أرسلي تقريرًا عاجلًا جدًّا إلى رقم «صفر» لا داعي لأن تقولي له ما حدث، اطلبي منه فقط الاتصال بباريس ...

إلهام: باريس؟

أحمد: نعم ... ليسأل عن بعثة «رينيه بلانكارد» الأثرية.

بدت الحيرة على وجوه الشياطين الثلاثة ... ولكن «أحمد» قال بحزم: فورًا من فضلك!
ومن تحت مقعد القيادة في السيارة، أخرجت «إلهام» جهاز اللاسلكي، وبدأت ترسل:

من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر» ...
عاجل جدًّا ومهم للغاية ...
نريد السؤال عن بعثة «رينيه بلانكارد» الأثرية في باريس. أي معلومات عنها.
الرد عاجل جدًّا وهام.

أحمد: اتركي جهاز اللاسلكي مفتوحًا.
ثم التفت إلى «بو عمير» وقال: أريد مقابلة مفتش الآثار الذي قابلته أمس.
بو عمير: نستطيع الالتقاء به في مكتبه. لقد أعطاني عنوانه.
أحمد: هيَّا بنا.
وركبا السيارة، وقال «أحمد»: لا يتحرك أحد منكم حتى نعود. وخذوا حذركم وليكن مسدسك جاهزًا يا «خالد»!

رصاص في المعبد!

انطلقت السيارة ... وبعد سؤال بعض الأشخاص، وصلا إلى مكتب مفتش الآثار فقال لهما أحد الموظفين إنه ذهب إلى معبد حتشبسوت، وأسرعا إلى شاطئ النيل حيث تركا السيارة وركبا قاربًا في النيل ... وقال الشاب الأسمر الذي يقود القارب: اليوم حار جدًّا ... كان يجب أن تحضرا غطاءً للرأس. وإلا أصبتما بضربة شمس.

أحمد: لم يتسع وقتنا لهذا.

وانتهز «أحمد» فرصة فتح باب الحديث وسأل الشاب: هل ذهب أحد إلى البر الغربي اليوم؟

الشاب: نعم ... مفتش الآثار الأستاذ «رستم» ومنذ لحظات ركب أربعة أشخاص قاربًا آخر إلى هناك.

أحمد: هل تعرفهم؟

الشاب: نعم ... إنهم أجانب موجودون هنا منذ فترة طويلة.

وأدرك «أحمد» و«بو عمير» أنهم في الأغلب من رجال بعثة الآثار ... ووصل القارب وقفز الصديقان إلى البر ... وانطلقا إلى ناحية معبد حتشبسوت الضخم. لم يقابلا أحدًا في الطريق ... فمن النادر أن يذهب السواح إلى الأماكن الأثرية في الصعيد في الصيف ... خاصةً في شهر أغسطس.

وصلا إلى الطريق الواسع المؤدي إلى المعبد ... وأحسا بالشمس تكاد تحرقهما فأخذا يجريان في اتجاه المعبد ... ووصلا إلى مدخله الكبير وقد سال عرقهما ... ولم يجدا أحدًا. وصاح «أحمد»: يا أستاذ «رستم».

ورددت الجدران والأعمدة صوته ... والصدى يرن ... «رستم» ... «رستم» ... دون أن يظهر «رستم» ... وخيم الصمت على المكان الواسع ... واختار «أحمد» أن يتجها يسارًا إلى جانب المعبد القريب من الجبل.

وقال «بو عمير»: لم تقل لي لماذا تريد المفتش؟

أحمد: أريد أن أسأله سؤالًا واحدًا ... قد يكشف الكثير من الحقائق ...

ولم يكد «أحمد» ينتهي من جملته حتى سمعا صوت طلقة وأزيزًا يمر بجوار آذانهما ... وشيء يرتطم بالجدار بجوارهما، وانبطحا على الأرض ... عرفا على الفور أنها رصاصة أُطلقت من مسدس ... وأخرج كل منهما مسدسه ... وأخذا يزحفان على الأرض بشكل متعرج كالثعبان ...

لم يكن هناك مكان في صالة المعبد الواسعة للالتجاء إليه ... وكان عليهما إذا شاءا الاختفاء خلف الأعمدة أن يقطعا مسافة عشرين مترًا دون ساتر يحميهما ... وأزَّت رصاصة أخرى ... وثالثة ... وقال «بو عمير»: لقد حددت مصدر الإطلاق ... إنه فوقنا إلى اليمين ... سنقف معًا ونجري ونحن نطلق الرصاص على المصدر.

كان «بو عمير» أكثر الشياطين خبرة باستخدام الأسلحة خاصةً المسدسات ... ولم يتردد «أحمد» ووقف ومعه «بو عمير» وصبَّا سيلًا من الرصاص على مصدر الإطلاق وأخذا يجريان حتى وصلا إلى جدار المعبد ... وفجأة هوت عليهما قطعة ضخمة من الحجر ... وجذب «أحمد» «بو عمير» جانبًا، وسقطت الصخرة ... وأحدثت دويًّا هائلًا في المعبد الخالي.

أحمد: إننا مطاردون من العصابة.

بو عمير: إذن «لنك» ليس وحده!

أحمد: من المؤكد أنه ليس وحده ... إنهم جميعًا مشتركون في العملية.

بو عمير: ما عدا «رينيه بلانكارد» طبعًا.

أحمد: و«رينيه بلانكارد» على رأسهم.

بو عمير: غير معقول!

أحمد: هذا هو المعقول الوحيد ... لقد أراد «رينيه» أن يلقي بالتهم كلها على رأس «لنك» ليكون هو ومن معه أبرياء ... إن اتهام واحد معناه تبرئة الآخرين ... ولكنها حيلة لا تنطلي عليَّ ...

بو عمير: وكيف شككت في «بلانكارد»؟

أحمد: سأشرح لك هذا فيما بعد ... وسوف يؤكد تقرير رقم «صفر» عن البعثة شكوكي ... المهم الآن كيف نخرج من هذا المعبد؟

وبرز «أحمد» لحظة ... وانهالت عليه الطلقات ... فقذف نفسه عائدًا خلف الجدار.

قال «بو عمير»: إننا محاصران ... سأتركك هنا ... وسأزحف بجوار الجدار وأتسلق في مكان منه لأكون خلف رجال العصابة، وعندما تسمع طلقتين متتاليتين اخرج من مكانك فورًا وتقدَّم.

وقبع «أحمد» في مكانه ... وبدأ «بو عمير» يزحف سريعًا بجوار الجدار.

مضت فترة طويلة ... وقرر «أحمد» أن يجرب مرة أخرى، فأخرج يده وسرعان ما انهالت الطلقات مرة أخرى فعاد مكانه وقد عرف أن رجال العصابة ما زالوا في أماكنهم.

ومضت فترة أخرى. ونظر «أحمد» في ساعته. كانت قد تجاوزت الحادية عشرة ... وفجأة سمع طلقتين متتاليتين ... وشاهد رجلًا يسقط من فوق الجدار المرتفع وهو يصيح في رعب، ثم هوى على الأرض ... وخرج على الفور من مكمنه وبدأ يتقدم لم يبقَ في مسدسه إلا ثلاث رصاصات فقط ... فلم يطلق منه شيئًا ... وسمع صوت تبادل النيران فوق الجدار المرتفع ... واتجه إلى مصدر الإطلاق وبرز بجوار الجدار ... وشاهد «بو عمير» بعيدًا يرتكز على ركبته ويطلق النار. ثم شاهده ينبطح ويكف عن الإطلاق. لقد نفد الرصاص من مسدس «بو عمير» ...

جرى «أحمد» بكل قوته ... كانت حياة زميله معلقة بما يفعل ... ومر في جريه بالرجل الذي سقط وشاهد مسدسه على الأرض ... وفي لحظة انحنى والتقط المسدس ونظر إلى فوق ... كان أحد رجال العصابة يتقدم من مكان «بو عمير» وهو شاهر مسدسه ... ورفع «أحمد» يده وأطلق رصاصة واحدة، وصاح الرجل، وسقط ... وصاح «أحمد»: «بو عمير»!

ورفع «بو عمير» رأسه ... وأشار «أحمد» بالمسدس الذي حصل عليه ... فوقف «بو عمير» وقذف «أحمد» بالمسدس ... وطار المسدس في الهواء ... وأحس «أحمد» بقلبه يخفق عندما استقر المسدس في يد «بو عمير». وتحول «بو عمير» على الفور وأطلق رصاصته.

كان «أحمد» يقف تحت الجدار المرتفع ... و«بو عمير» فوقه ... وصاح «بو عمير»: لقد نزلوا من الناحية الأخرى للجدار ... انتظر.

وبدأ «بو عمير» ينزل بحذر مستخدمًا الأحجار البارزة في طرف الجدار. وبعد لحظات انضم إلى «أحمد» ... كان العرق يغطي جسده كله، وينحدر في قطرات كبيرة على وجهه، ولكنه كان هادئًا كأن لم يحدث شيء.

أحمد: شيء غريب ... المفتش ليس هنا ... ولا الحارس!

بو عمير: ليس من المستبعد أن يكون رجال العصابة قد تخلصوا منهما إما بالأسر أو بالقتل!

أحمد: لم يعد هناك شك أن البعثة كلها مشتركة في هذه العملية، والمهم الآن أن نعود إلى البر الشرقي لنمنع «رينيه» من الفرار بغنيمته؟

بو عمير: تقصد أن الذهب معهم؟

أحمد: طبعًا. هذه السيارات الضخمة ليست لها مهمة في بعثة الآثار مطلقًا. إن لها مهمة مع عصابة من اللصوص والقتلة. هيا بنا.

مرَّا بالرجل الذي أصابه «بو عمير». فأخذ «أحمد» مسدسه ... وأخذا يجريان. كانت المشكلة أنهما عندما يتركان المعبد ويبدآن السير خارجه ... يكونان هدفًا سهلًا لمن بقي من رجال العصابة ... ولكن «بو عمير» حل المشكلة قائلًا: اخرج أنت. سأقوم بحمايتك ... وأمسك «بو عمير» بمسدسين في يديه ... وبدأ إطلاق الرصاص في اتجاه أعضاء العصابة المختبئين بينما انطلق «أحمد» يجري ... وبعد مسافة استدار وبدأ يغطي انسحاب «بو عمير».

في هذه اللحظة شاهدا من بعيد أشخاصًا يتقدمون في الاتجاه المضاد وقال «بو عمير» وهو يلهث، بعد أن انضم إلى «أحمد»: لو كانوا من رجال العصابة فسيحاصروننا.

وقد حدث ما توقعه ... وبدأ الرصاص ينهال من الجهتين ... وأشار «أحمد» إلى الجبل قائلًا: سنحاول الاختباء هناك.

وأسرعا يجريان، وعندما وصلا إلى الصخور قال «بو عمير»: كنت أتمنى أن يكون معنا مدفع رشاش الآن.

وجلسا في ظل صخرة، وقد علتهما الأتربة والعرق ... وكانت الحرارة لا تطاق ... وبدا «أحمد» مهمومًا وهو يفتح كل مسدس ويعد الرصاصات التي به ثم قال: ليس معنا في المسدسات الأربعة سوى خمس رصاصات ... ولو هجموا الآن لما استطعنا صدهم.

ولكن أحدًا لم يهجم ... واختفى الرجال الذين قدموا مؤخرًا ... وساد الصمت معبد حتشبسوت الكبير ... والجبال ... والصخور ... ومرت نصف ساعة، وقال «أحمد» وهو يقف: يجب أن نشق طريقنا بأي طريقة ... إن كل دقيقة تمضي ليست في صالحنا.

وخرجا إلى العراء مرة أخرى ... «بو عمير» أولًا وخلفه «أحمد» يحمي ظهره ... وصلا مرة أخرى إلى المعبد ... ولم يلتقيا بأحد ... وواصلا سيرهما حتى وصلا إلى شاطئ النيل ... وكانت المفاجأة لا أحد هناك ... ولا قارب ليعبرا به النيل ...

قال «بو عمير»: واضح جدًّا أنهم عادوا وتركونا وحدنا على الضفة الغربية.

أحمد: سنعبر النيل سباحة.

وخلعا ملابسهما ... وأمسك كل منهما بملابسه في ربطة صغيرة حملها بيديه ثم ألقيا بنفسيهما في الماء البارد ... وأحسا بانتعاش ...

كانا يعومان ببطء بسبب الملابس التي يحملانها ... ولكنهما في النهاية وصلا إلى البر الشرقي ... ولحسن الحظ كان المكان الذي وصلا إليه خاليًا ... فصعدا مسرعين وارتديا ملابسهما ... وأخذا يجريان إلى حيث تركا السيارة فركباها وأسرعا إلى المعسكر ...

فكرة الشيطان

ما كادت «إلهام» تراهما حتى صاحت: لقد اتصل رقم «صفر». إن العالِم الأثري «رينيه بلانكارد» لم يغادر باريس ... لقد أرسل إلى مصلحة الآثار يطلب تأجيل موعد وصول البعثة إلى الشتاء.

قال «أحمد»: هذا ما توقعته ... إن «بلانكارد» الذي قابلناه عالِمٌ مزيف. وقد كنت أريد أن أسأل مفتش الآثار عن أسلوبه في العمل هو ورجاله. لا بُدَّ أنه لاحظ أنهم بلا خبرة في الحفريات هيَّا بنا.

وقفز الأربعة إلى السيارة وانطلقوا إلى معسكر البعثة ... وعندما وصلوا كانت في انتظارهم مفاجأة ... لم يكن هناك أحد على الإطلاق ...

وكاد «أحمد» يدير السيارة عندما صاحت «إلهام»: «أحمد» ... انتظر!

وأوقف «أحمد» السيارة. وقفزت «إلهام» منها واتجهت نحو تل الرمال الكبير الذي يخفي المعسكر ... ووقفت أمام شيء وأخذت تتفرس فيه ... ثم أشارت إلى بقية الشياطين فأسرعوا إليها. وأشارت «إلهام» إلى الشيء الذي لفت نظرها ... كانت مجموعة من الأسلاك الكهربائية بارزة من الأرض ... وقالت «إلهام»: إنها تمتد تحت التل الرملي.

خالد: وماذا يعني هذا؟

إلهام: معناه أن تحت التل أجهزة تدار بالكهرباء.

وأمسكت «إلهام» بقطعة خشب وبدأت تحفر بجوار الأسلاك ... كلما أزالت التراب بدت الأسلاك ممتدة أكثر ... واشترك بقية الشياطين في الحفر ... والأسلاك تمتد وتمتد ... وقال «أحمد»: خذ السيارة يا «بو عمير» واذهب إلى المدينة ... أحضر لنا أدوات للحفر!

وقفز «بو عمير» إلى السيارة وانطلق بأقصى سرعة ... وعندما عاد وجد الشياطين قد حفروا حفرة واسعة ...

وقذف إليهم «بو عمير» بأدوات الحفر ونزل معهم، وقال موجِّهًا حديثه إلى «أحمد»: سألت في الطريق عن سيارات بعثة «بلانكارد» المزعومة ... لم يرَهم أحد ...

أحمد: لم يمروا في المدينة؟

بو عمير: أبدًا ... سألت شرطي المرور ... سألت في الفندق.

أحمد: لن يذهبوا بعيدًا ... إن أمامهم ثماني ساعات على الأقل للوصول إلى القاهرة ... ثم الإسكندرية لشحن السيارات ... وسنتصل بالضابط «أكرم» في الوقت المناسب.

وبدأ الحفر يزداد عمقًا ... وفجأة اصطدمت فأس بشيء صلب رن رنينًا واضحًا في الصمت المخيم على المكان البعيد ... وصاح «أحمد»: إنها العربة، عربة الذهب!

ونظر إليه الشياطين مدهوشين ... وعاد يقول وهو منهمك في الحفر: هذه هي الفكرة التي كانت بخيالي ... عربة القطار تخرج من الخط إلى مخبأ محفور ... ثم تختفي إلى الأبد.

وبدأ هيكل العربة يظهر فعلًا ... وفجأة قالت «إلهام»: أسرعوا قليلًا ... إن قلبي يحدثني بشيء غريب ...

وانهالت المعاول على التل وقال «أحمد»: لقد صنعوا غرفة كاملة لإخفاء العربة ... وهذه الأسلاك كانت تضيء الغرفة والعربة.

وفجأة رفع «أحمد» يده مشيرًا للشياطين بالكف عن الحفر ... ثم وضع أُذنه على الجزء البارز من العربة وقال: هناك حركة في الداخل ... أسرعوا!

وأخذت المعاول تنهال حتى وصلت إلى باب العربة، ففتحوها ووقع بصرهم على «عثمان» و«زبيدة» مكومين في جانب العربة يلبسان أجهزة أكسجين للتنفس ... ولم يكن في العربة شيء آخر إلا بعض حبال من الصلب ... وكان الذهب قد اختفى!

أسرع الشياطين إلى إفاقة «عثمان» و«زبيدة» كانا قد أصيبا بإغماء منذ فترة، وكادا يختنقان رغم ماسورة التهوية التي كانت تمتد من العربة تحت الرمال وتبرز على مسافة بعيدة.

قال «أحمد»: لقد اتضح كل شيء الآن ... هيَّا بنا ... المهم هو العثور على العصابة.

وذهبوا إلى المعسكر حيث نزل «عثمان» و«زبيدة»، و«إلهام» و«خالد»، وأخذ «أحمد» و«بو عمير» السيارة وأسرعا إلى مديرية الأمن ... وهناك شرح «أحمد» للضابط المسئول ما حدث ... وبدأت أجهزة التليفون واللاسلكي تعمل بين الأقصر والقاهرة ... وخرجت سيارات الشرطة تبحث عن سيارات العصابة الهاربة.

وعاد «أحمد» و«بو عمير» إلى المعسكر ... وأخرج «أحمد» القطار الصغير وركب تحويلة في مكان ما من القضبان ثم ترك القطار يدور ويدور، وفجأة مدَّ «أحمد» يده وفصل العربة الرابعة ... عربة الذهب ... وتركها تسير بين العربة الثالثة والخامسة وهي مفكوكة ... وعندما مرت عند التحويلة مضت وحدها على التحويلة. ثم تبعتها بقية العربات بقوة الاندفاع، وبعد قليل توقفت العربة الرابعة ... والعربات التي تليها ... بينما استمرت الثلاث العربات الأولى في الدوران ... وفجأة انحنى «أحمد» على القطار وقال: أظن أنني حللت اللغز! أريد قطعة خيط صغيرة!

وقامت «إلهام» فأحضرت قطعة الخيط ... وأعاد «أحمد» ترتيب القطار ثم ربط العربة الثالثة والخامسة بقطعة الخيط ... بينما فك «الشناكل» التي كانت تربط العربة الرابعة (عربة الذهب) بالعربتين الثالثة والخامسة وتركها مفكوكة ولكن محصورة بينهما ... وعندما وصلت العربة الرابعة عند التحويلة أدارها «أحمد» في اتجاه التحويلة ... فمضت وحدها ... بينما مضى القطار في طريقه ... وشدت قطعة الخيط بقية العربات إلى القطار ... وصاح «خالد»: تمامًا ... تمامًا!

وصاحت «إلهام»: إنها خطة شيطانية!

ومد «بو عمير» يده وهزَّ كتف «أحمد» الذي ظل مستغرقًا في التفكير ... ثم مدَّ يديه وأعاد التجربة ... ربط العربة الثالثة بالعربة الخامسة ... وترك العربة الرابعة مفكوكة ثم حولها، ومرة أخرى مضى القطار يجر ست عربات ... الأولى والثانية والثالثة ثم الخامسة والسادسة والسابعة ... بينما مضت الرابعة إلى التحويلة وتوقفت عند نهايتها ...

ولأول مرة ابتسم «أحمد» وقال: أعتقد أن هذا ما حدث بالضبط ... لقد كانت الفكرة تدور في رأسي وسأعيد عليكم ترتيب الحوادث كما أتخيلها.

عرفت العصابة بقصة عربة الذهب منذ فترة ... وبدأت تضع خطتها في باريس ... وبطريقة ما عرفت العصابة أن بعثة «بلانكارد» لن تحضر في الصيف إلى مصر، وحصلت العصابة على الخطاب المرسل لتأجيل البعثة ... وأرسلت خطابًا مزورًا إلى مصلحة الآثار المصرية بأن البعثة ستصل في مايو.

وجاءت البعثة ... أقصد العصابة ... واختاروا المكان الملائم لتحويل عربة الذهب ... ثم قاموا تحت ستار البحث عن الآثار بحفر التل الترابي قرب التحويلة وحوَّلوه إلى غرفة ... وصنعوا لها بابًا من الخشب موَّهوه بالتراب والصخور ... وتمَّ تحويل العربة كما شرحت لكم الآن.

لقد صعدوا إلى القطار ليلًا وهو يهدئ من سرعته عند منطقة الإصلاح ... ثم ربطوا العربة الثالثة والخامسة بحبال الصلب التي وجدناها في العربة ... وفكوا العربة الرابعة ... عربة الذهب ... ثم قاموا بتحويلها إلى الغرفة السرية ... وظلت العربة الثالثة مربوطة إلى الخامسة بحبال الصلب ... وبقوة اندفاع العربة الخامسة استطاعوا إعادة ربط العربة الثالثة بها بواسطة الشنكل، ثم فكوا حبال الصلب التي أصبح لا فائدة منها ... وهكذا مضى القطار في طريقه يجر ست عربات فقط.

قالت «إلهام»: سأُسرع بإرسال تقرير إلى رقم «صفر».

وبعد أن انتهت «إلهام» من إرسال التقرير ... سمعوا صوت سيارة مُقبِلة ... كانت إحدى سيارات الشرطة ... ونزل ضابط شاب فحيَّاهم وقال: لقد عثرنا على سيارات العصابة على طريق الأقصر القُصير ... لقد كانوا يحاولون الهرب عن طريق البحر الأحمر ... وقد اعترفوا بكل شيء ...

وروى لهم الضابط الاعترافات ... كانت مطابقة تمامًا لفكرة «أحمد» الذي شرح لهم كيف اشتبه في «بلانكارد» عندما سأله عن حادث السرقة فقال إنه يعرفه ... رغم أن الحادث لم ينشر عنه شيء ...

وصل الشياطين إلى فيلا شارع الهرم في ساعة متأخرة من تلك الليلة ... وقبل أن يناموا وصلهم شكر من رقم «صفر» على عملهم البارع في الكشف عن سرقة قطار الذهب المثيرة.

هنـــداوي